الزهراوان

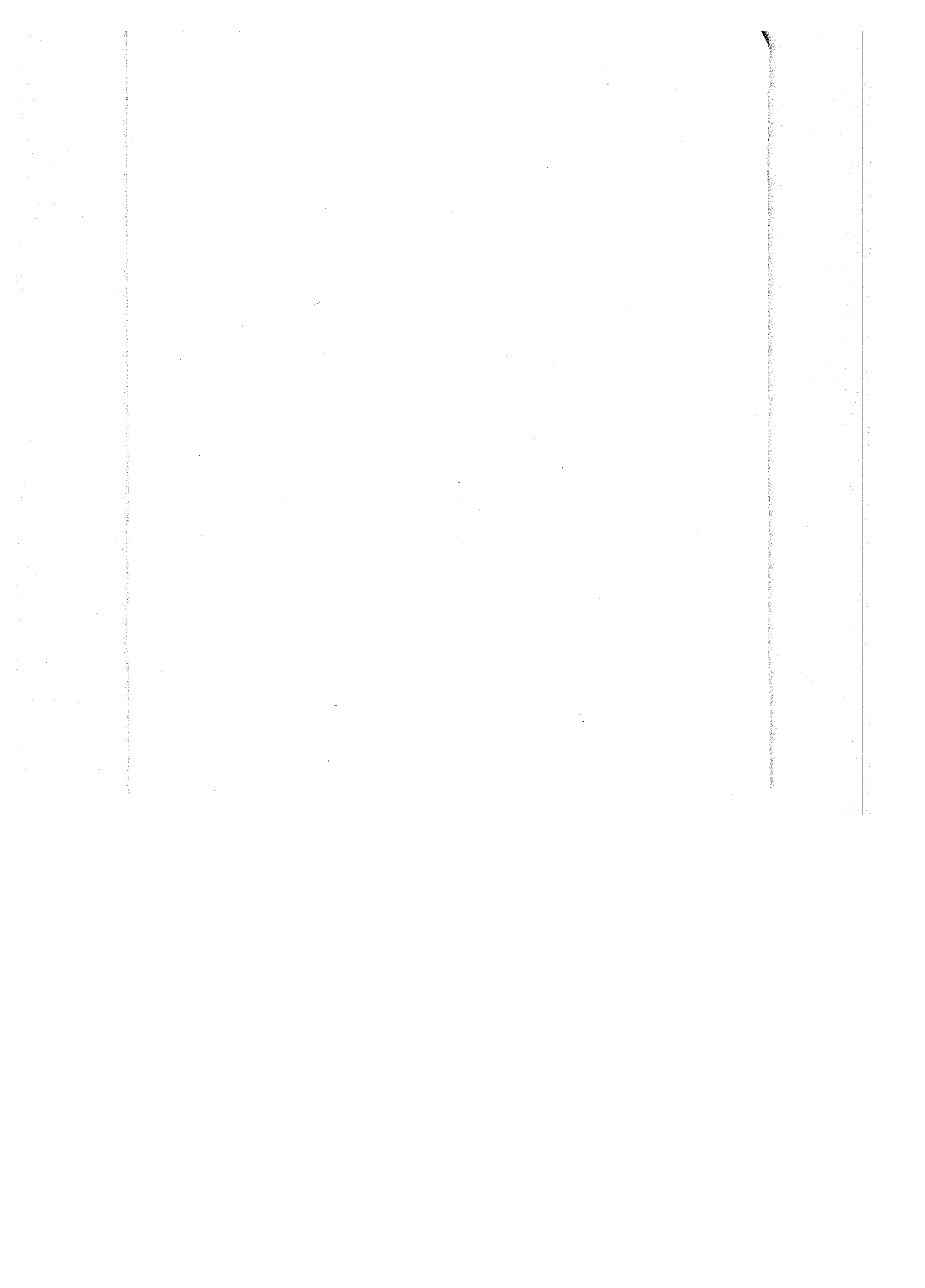
سعيد السواح

الناشر
الدار السلفية للنشر والتوزيع
إسكندرية

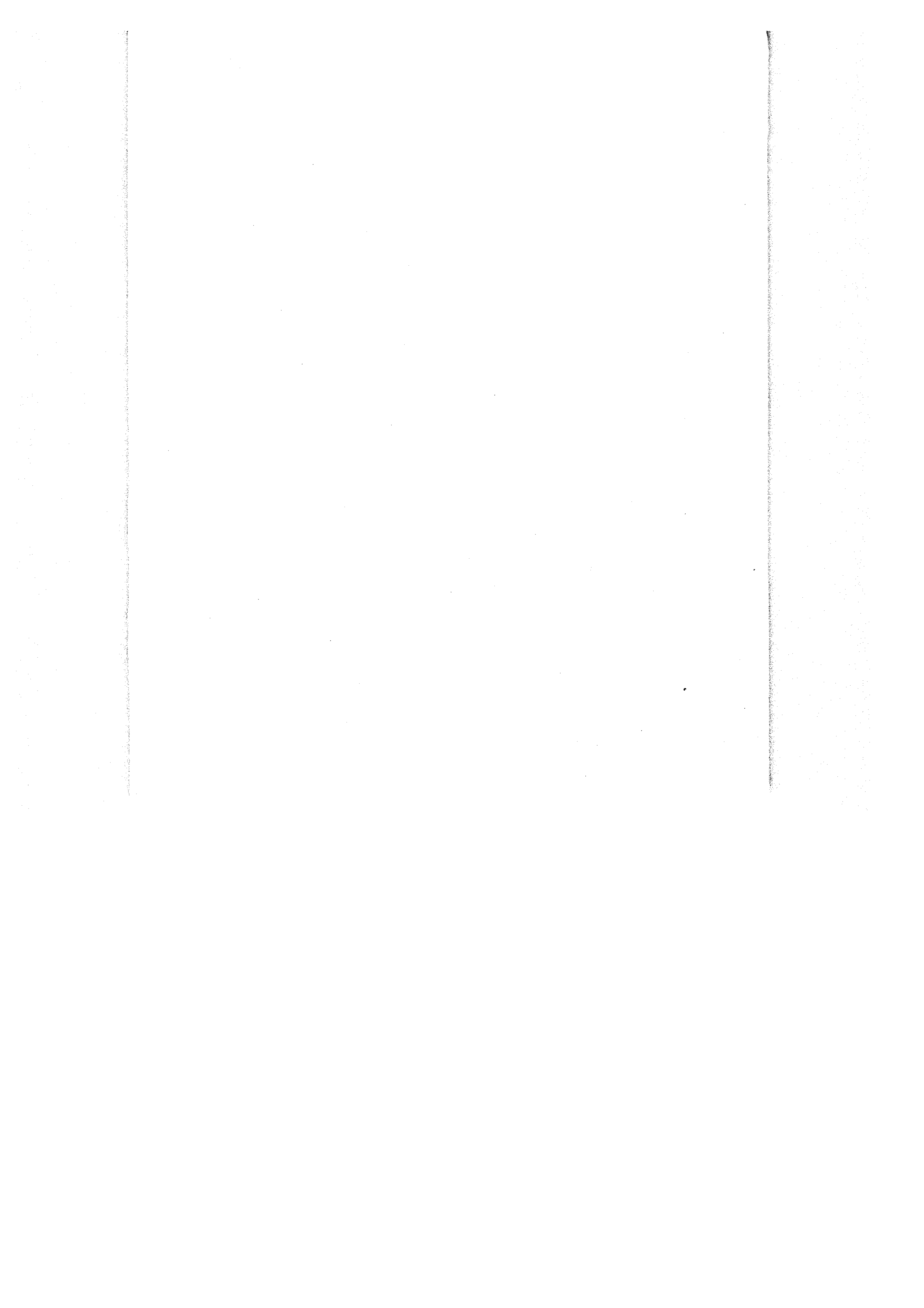
رقم الإيداع : ٩٨٩٦ / ٢٠٠٧

الدَّارُ السَّلَفِيَّةُ للنشر والتَّوزيع
إسكندرية

الزَّهْرَاوَانُ




رتبة العلماء أعلى الرتب
١٣٢٦



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا .

أما بعد :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

ثم أما بعد :

فالقرآن هو كتاب الله المنزل ، وكتابه الموجه إلى الإنسان ، وهو دستور المسلم وقائده في سيره إلى ربه تعالى ؛ حيث لا غنى للمسلم عن مصاحبة القرآن وتلاوته والمداومة على قراءته والنظر فيه ؛ فلقد قال رسول الله ﷺ : « **استذكروا القرآن وتعاهدوه ؛ فإنه أشد تفصيًا من الإبل في عقلها** » .

ولقد بين الله تعالى أنه لا سبيل لخشوع القلب ، ولينه ورقته ، إلا بكثرة تلاوة القرآن ، وبالمداومة على قراءته : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾[الحديد : ٧٠] ، فلا حياة للقلوب ، بل لا حياة للإنسان إلا مع القرآن ، ولكن نقول :

لماذا نقرأ القرآن ؟ وما الهدف من قراءته ؟ وهل تلاوة القرآن هي الغاية المطلوبة من قراءته ؟ فلتسمع إلى قول ربك : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر : ١٧-١٨] ، وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾[البقرة : ١٢١] .

فالمطلوب من التلاوة والاستماع تدبر الآيات ، والتأثر بها ؛ لتتحول الآيات إلى سلوك ملتزم بما أنزل الله تعالى في الكتاب ، وتتحول إلى منهج حياة ، والقرآن هو دليل الإنسان لرحلته في هذه الحياة ودليل الإنسان في رحلته إلى الآخرة ، وقائده في سيره إلى ربه تعالى ؛ فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « **ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا ، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا جميعًا ولا تتفرجوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه ؛ فإنك إن فتحته تلجه ، والصراط الإسلام ، والسوران حدود الله تعالى ، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل ، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم** »[مسند الإمام أحمد (١٧٥٦٦)] .

بل إن خير أمة وطئت بأقدامها على ظهر الأرض ما تربت إلا عن طريق القرآن ، فبالقرآن تعرفوا على ربهم سبحانه ، فعندما كانوا يقرءون القرآن ويتعرفون على ربهم أنه سميع بصير صارت في قلوبهم إشراقة ، وإنارة تجاه رقابة الله تعالى لأعمالهم الظاهرة والباطنة ؛ لعلمهم باطلاع ربهم على بواطنهم وأنه سبحانه لا تخفى عليه ذرة ولا أدنى منها ، لا في الأرض ولا في السماء .

فعندما كانوا يقرءون : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] ، ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] ، ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الأنفال : ٤٣] ، فكانت هذه الآيات وأمثالها كفيلة برؤية الصحابة لرقابة الله تعالى لخواطرهم ، وواردات القلب ، فضلًا عن أعمالهم الظاهرة .

وعندما كانوا يقرءون : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٢٦) تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران : ٢٦-٢٧] ، ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٨-٨٩] ، ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [الزمر : ٦٣] ، فإن كان هذا هو ربهم فإن أبصارهم لم تنصرف عنه ، ويواجهون الشدائد بالصبر وقلوبهم معلقة بتفريج الله لكروبهم دون غيره ؛ لأنه المتصرف في الكون ، المدبر لشأنه .

وعندما كانوا يقرءون : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الشورى : ١٢] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، علموا أن الأرزاق مقسومة فلم يخافوا في الله لومة لائم ، وأنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها .

وعندما كانوا يقرءون : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٨] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٠] ، علموا أن قلوب العباد بين يدي الله تعالى ، فاستقامت قلوبهم على أمر ربهم .

وعندما كانوا يقرءون : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] ، ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٣٩] .

فتعلموا العزة والاستعلاء بالإيمان فإنهم أعزاء بربهم وأعزاء بدينهم وأن الدين هو مصدر عزهم ورفعتهم .

كيف رأى الصحابة الجنة والنار :

لقد رأت الصحابة الجنة والنار كرأي عين ، من خلال هذه المشاهد التي صورها القرآن ، فلقد جسم القرآن هذه المشاهد ـ مشاهد يوم القيامة ـ ؛ حتى تحولت في حس الصحابة إلى مشاهد حاضرة عاشوا من خلالها ؛ فتأثرت مشاعرهم وانفعلوا بوجدانهم ، خاصة والقرآن ربط بين الطاعات والإيمان باليوم الآخر ـ فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا

وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٦٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٠-١٣١] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٠-٣٢] .

وانظر إلى وصف الله تعالى لعباده الذين كتب لهم النجاة والفوز والسعادة في الدارين ، هؤلاء الذين مزجوا بين الإيمان والأعمال الصالحة ، وكيف كانوا يشاهدون اليوم الآخر ـ قال سبحانه : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣-٦٦] .

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨-١٠] .

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور : ٣٦-٣٧] .

كيف رأى الصحابة الطريق :

لقد تعرف الصحابة على الطريق الذي يوصل إلى دار السلام ، وتعرفوا على مؤهلات من أراد أن يجوز هذا الطريق ، فحققوا شرط الله تعالى ؛ من خلال تطبيقهم للآيات - قال سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون : ١-١١] .

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣-١٣٦] .

انظر كيف تعلم الصحابة أن السنن الكونية لا تعرف المحاباة حتى مع الأكابر فلقد تعلموا الدرس من غزوة أحد عندما نبههم الله إلى ذلك : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، وعلموا أن التمكين لا يتم ولا يكون إلا بتحقيق

شرط الله تعالى في إخلاص الدين لله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] .

إن تأثر الإنسان بالقرآن لا يكون إلا مع يقظة القلب من سِنَة الغفلة ، ولقد توعد الله أصحاب القلوب القاسية ـ التي لا تتأثر بالقرآن : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر : ٢٢] ، هؤلاء وصفهم الله تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، أما المؤمن فيُرى تأثره بالآيات عندما تتلى عليه فيكون حاله كما وصف الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣] ، ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] ، ﴿ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان : ٧٣] .

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال : ٢] .

إن قلنا ما السبيل لكي نتأثر بالقرآن كما تأثرت الصحابة ؟ وما السبيل لكي ترق القلوب عند سماع آيات الرحمن تتلى علينا ؟ لا سبيل إلى ذلك إلا بالتدبر ؛ فلقد أمر الله تعالى بتدبر كتابه ، ووصف المشتغلين بذلك بأنهم أولوا الألباب ـ فقال سبحانه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤]، فكان من صور اهتمام الصحابة ﷺ بذلك ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن ـ عثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب وغيرهم : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها ، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ـ قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا .

ولذلك نهى النبي ﷺ عن ختم القرآن في أقل من ثلاث ، وقال: « **لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث** » ، ولقد ذم الله تعالى من لا يفقه القرآن ، واقتصر على مجرد سماع الصوت ـ فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء : ٤٥-٤٦] .

وقال سبحانه : ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٧٨]

وقال سبحانه في حق من كان حظه من السماع سماع الصوت دون فهم المعنى واتباعه : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٦] .

فمناط الاستفادة بالقرآن هو أن نعقل ؛ لذلك فإن أسلوب القرآن قائم على مخاطبة العقل ، ولفته إلى أسرار الكون والإبداع العجيب في كل آية من آياته ،

ولذا نجد أن القرآن مليء بالآيات التي تدعو إلى النظر والتفكر والتأمل والاعتبار كقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ، ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وختامًا فلتسمع إلى وصف الله تعالى لكتابه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف : ٢] .

قال ابن تيمية رحمه الله : « فبين سبحانه أنه أنزله عربيًا ؛ لأن يعقلوا ـ والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه » ، ويكفيك من ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر : ١٧] .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « وقد أخبر سبحانه أنه يسره للذكر ـ وتيسيره للذكر يتضمن أنواعًا من التيسير :

- تيسير ألفاظه للحفظ .
- تيسير معانيه للفهم .
- تيسير أوامره ونواهيه للامتثال .

اللهم يسر لنا القرآن تلاوة ، وحفظاً ، وفهماً ، وعملاً

واجعل القرآن حجة لنا لا حجة علينا ، واجعله شفيعاً لنا يوم القيامة

اللهم استجب . اللهم آمين

فضل سورة البقرة وآل عمران

أتدري أيها الحبيب ما فضل سورة البقرة ؟

قال الحبيب محمد ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبورًا فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان » (١) .

وقال ﷺ: « تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة » ثم سكت ﷺ ساعة ، ثم قال: « تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف ، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب ، فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك ! فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته ، وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان : بما كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام يقرأ هذًا كان أو ترتيلًا » (٢) .

ويكفيك أيها الحبيب آية الكرسي: أتعلم عظم هذه الآية ؟

الآيتان الأخيرتان ـ أتعلم فضلهما ؟ فلقد قال النبي ﷺ عن آية الكرسي : فعن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر أتدري أي آية

---

(١) الترمذي / كتاب ثواب القرآن ـ باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .

(٢) مسند الإمام أحمد ، (٢٢٨٤٦) .

من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم . قال : فضرب في صدري ، وقال : والله ليهنك العلم أبا المنذر » [١] ، ولتسمع أيها الحبيب ما قال النبي ﷺ عن الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة : فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « **بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه ، فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ؛ لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته** » ، وقال أيضًا ﷺ: « **الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه** » [٢] .

وأخيرًا نقول : الإمارة لمن كانت معه البقرة ، فلقد بعث رسول الله ﷺ بعثًا ذو عدد ، وقدم عليهم أحدثهم سنًا ؛ لحفظه البقرة ، وقال : « **اذهب فأنت أميرهم** » [٣] .

---

(١) «صحيح مسلم» كتاب المسافرين ـ باب فضل آية الكرسي.

(٢) « صحيح مسلم » كتاب المسافرين ـ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة .

(٣) الترمذي / كتاب التفسير ـ باب ما جاء في سورة البقرة .

سورة البقرة

القرآن كتاب الله المنزل على رسول الله ﷺ ، والمؤمن لا يرتاب ولا يشك في أن القرآن منزل من عند الله ؛ لعلو شأنه وسطوع برهانه فليس فيه مظنة أن يُرتاب في حقيقته أنه وحي منزل من الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء : ١] ، قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾[البقرة : ١] ، وهذا مصداق قول الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[السجدة : ١-٢] .

وهو كتاب هداية ولا ينتفع بهدايته إلا من كان حاملًا لصفات أهل الإيمان ، فهو هادٍ لهم ودال على الدين القويم ، المفضي إلى السعادة في الدارين ، ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة : ١] .

فالمتقون هم الذين اهتدوا وانتفعوا بالقرآن ، وهذا مبين في كتاب الله تعالى أن هداية التوفيق والإسعاد هي الحظ الأوفر للمتقين - دون غيرهم - قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[فصلت : ٤٤] ، ويقول سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس : ٥٧] .

سبيل الإنسان لكي يكون من المتقين ، أن يشتمل على صفات ومؤهلات تعينه وتساعده على الانتفاع بالقرآن ، وهم الذين مزجوا بين الإيمان والعمل الصالح ، فعنوان سعادة العبد الإخلاص للمعبود والإحسان إلى الخلق ،

فهم على نور من ربهم واستقامة وسداد ـ بتوفيق من الله لهم ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ٣-٤] ، فهم قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان ، وأخلصوا لله العبادة .

سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة والفوز بدار السلام في الآخرة ، هو حصول الإنسان على مؤهلات تؤهله لسكنى الجنة ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] .

حذرنا الله تعالى أن نكفر بالله بعد الإيمان ، كما حذرنا سبحانه أن نتشبه بالكفار ، في أنهم عُطلت حواسهم وإدراكاتهم ، أن يبصروا هذا الهدي ، فهم بذلك أشبه ما يكونوا بالبهائم ، بل هم في رتبة أقل من رتبة البهائم ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٦ – ٧] ، ففي هذه الآيات التحذير أن نسلك المسلك الذي يختم به على القلب ، وتعطل فيه الحواس عن العمل ـ كما قال سبحانه : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

نبه الله تعالى على صفات المنافقين ، لئلا يغتر بظاهر أمرهم المؤمنون ؛ فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم ، فوصفهم الله بأوصاف يتميزون بها ؛ لئلا يغتر بهم المؤمنون ، ولئلا يخدعوا المؤمنين بظاهرهم ـ فاحذر

أن تظن بأهل الفجور والفساد خيرًا ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ٨-٩] ، فهم يظهرون الإيمان والإسلام مع إسرارهم الكفر ، يعتقدون بجهلهم أنهم يخادعون الله بذلك ، وأن ذلك نافعهم عنده ، وأنه يروج عليه كما يروج على بعض المؤمنين ـ كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة : ١٨] .

التحذير من أمراض القلوب وأنها السبب في فساد معايير الإنسان وموازينه ، وبالتالي ينشأ عن ذلك المعاصي والعمل بها ، والسعي إليها ، وعلامة هذا المرض : عدم تأثره بالتذكرة أو الموعظة ، ومقابلة ذلك بالإعراض ، قال الله تعالى : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة : ١٠] .

ولتعلم أن عدم رؤية المنافق لعمله ؛ فساد معاييره وموازينه التي يزن بها كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١١-١٢] .

التحذير من الكبر والتعالي ، فهو سبب لعدم الإيمان ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣] ، فاعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق ، وأن ما عداه هو الباطل ، فالجاهل لا يعلم أنه جاهل ، وهذا من الجهل المركب .

المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله ، ولا يرد إلا على أصحابه ، والله تعالى يعصم المؤمنين من مكر الماكرين : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل : ٥٠-٥٢] ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٤-١٦] ، فعلى المسلم أن يحذر أن يفتن بزهرة الحياة الدنيا ، فقد يكون ذلك من باب الاستدراج ، ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٥-٥٦] ، وقال سبحانه : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٤-٤٥] .

وتجارة المؤمن تكون مع ربه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾ [التوبة : ١١١] ، وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف : ١٠-١١] .

﴿ ضرب الأمثلة لتقريب الأحكام إلى الأفهام :

قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] ، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر : ٢١] .

■ المثال الأول للمنافقين :

قال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١-١٨] ، فالمعصية مطفئة لنور الإيمان ، فالعاصي أصم وأبكم وأعمى ، عطلت منافع حواسه ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : ٤٠] .

■ المثال الثاني للمنافقين :

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٩-٢٠] .

﴿ الله تعالى هو الخالق وهو المنعم على خلقه ، بالخلق والإيجاد ، وبتسخير هذه المسخرات لهم ، فقد جعل سبحانه الأرض لنا مهدًا ممهدة موطوءة مثبتة بالرواسي الشامخات ، ورفع سبحانه السماء بغير عمد ، وجعلها بناء وسقفًا محفوظًا ، وكان من رحمته بعباده أن أنزل من السماء ماء فأنبت من خلاله الزروع والثمار ، فهذه من موجبات عبادته ، وملزمات حق الشكر له ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى

جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١-٢٢] ، فهل تجدون خالقًا غير الله يرزقكم من السماء والأرض ؟! فهل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ؟!

القرآن كلام الله تعالى ، وهو ليس من كلام البشر ، وتكفل الله تعالى بحفظه ، ولن تستطيع قوة ولو اجتمعت قوى الشر من الجن والإنس أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، بل لا يستطيعون ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ، فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة واحدة من سور القرآن ولو كانت من قصار السور ، قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣-٢٤] .

فإياكم والعناد ، وإياكم والمكابرة ، فنهاية العناد والمكابرة النار ، ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤] .

على الإنسان أن يتقي أي سبب من الأسباب التي يلقى بسببها إلى النار ، فالإنسان مطالب بحفظ بدنه من التحريق بالنار ، بل ينبغي أن يكون من قوافل السعداء ، الذين يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، وهم الذين لازموا بين الإيمان والعمل الصالح ، وهما السببان الموصلان إلى رضوان الله والجنة ـ قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا

قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥] ، فهؤلاء في مقام كريم ، ومقام أمين من الموت والانقطاع ، فلا آخر له ولا انقضاء ، بل في نعيم سرمدي يتنعمون ويتقلبون في نعم ربهم .

الأمثال أدوات للتنوير والتبصير ، وما كان ضرب المثل إلا لكي يُتصور ما أراد المتكلم بيانه للمخاطب ، وليست العبرة في المثل بالحجم أو الشكل ، والله تعالى له أن يضرب الأمثال بما يرى فهو سبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون .

ولقد ضرب الله المثل بالكلمة و الذباب والعنكبوت والبعوضة ، و بالمرأة التي نقضت عزلها وغير ذلك ، والحكمة من ضرب الأمثال ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦] ، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] ، ونرى أن إيمان المؤمن باعث على الطمائنينة والسكينة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] .

علامات الفسق :

- نقض عهد الله من بعد ميثاقه .
- قطع صلة أرحامهم .
- فعل المعاصي التي يفسدون بها في الأرض من صدٍ عن سبيل الله واستهزاء بالحق ...

قال تعالى : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[البقرة : ٢٦ ، ٢٧] .

الله سبحانه هو الخالق ، وهو المحي المميت سبحانه ، فمن اعترف لله بذلك فلا سبيل له بعد ذلك أن يكفر بربه سبحانه ، والإنسان في حاجة دائمة ومستمرة أن يتعرف على ربه ، كما عرفنا الله بنفسه ، وعجيب من الإنسان أن يكفر بربه ومعاشه لا يستطيعه بنفسه ، لولا إنعام الله عليه وإفضاله ، قال تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة : ٢٨-٢٩] .

التقرير أن الله يعلم ونحن لا نعلم ، لكي نسلم لله تعالى ولشرعه سبحانه ، فالله هو الذي خلق وهو أعلم بخلقه من أنفسهم ، وهو أعلم منهم بما يصلحهم وما يفسدهم ، وقيمة الإنسان فيما يعلمه فقد شُرِّف الإنسان ومُيِّز عن غيره من المخلوقات بالعلم ، ليستبين لنا شرف العلم وأهله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[البقرة : ٣٠-٣٣] .

فلنتعلم الأدب مع الله تعالى بما نراه من أدب الملائكة مع ربهم ، وكيف وصفهم سبحانه أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ونتعلم كذلك أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالواجب التسليم ، واتهام عقله والإقرار لله بالحكمة ، فنسلم لأحكامه سبحانه ولشرعه ولدينه ، ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢] .

أيها الإنسان لقد كرمك الله تعالى على سائر خلقه ، وكفانا تكريمًا أن الله تعالى أمر ملائكته أن يسجدوا لأبينا آدم عليه السلام ؛ تكريمًا وتشريفًا ، ولكن نقول لك احذر الكبر فإنه السبب في إخراج إبليس من الجنة ، ولعنه وطرده من رحمة ربه ، ولتعلم أن الله تعالى قد حرم الجنة على من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤] ، فالإباء على قبول أوامر الله وتنفيذها كفر بالله تعالى.

احذر من عداوة الشيطان ، فحسبك من ذلك أن الشيطان أقسم بعزة الله أنه لا يهنأ له بال ، ولن يذوق طعمًا للراحة ، إلا أن يستصحب الإنسان الذي طُرد بسببه من رحمة الله ، ولعن بسببه ، أن يستصحبه في رحلته إلى الجحيم .

واحذر من إلحاح الشيطان ، وتلون الشيطان ، فإنه ما زال بآدم عليه السلام حتى أكل من الشجرة ؛ ليطرد من الجنة كما طرد هو من الجنة ، وقد كان .

واحذر من سعيه الدائم أن يكون الإنسان من أصحاب السعير في الآخرة ، كما هو مآله في الآخرة ، فهو يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير .

فالشيطان يستعمل كل وسيلة من الوسائل التي يضل بها الإنسان ، فهو في إصرار على إغواء الإنسان ؛ ولذا فهو يدخل للإنسان من حيث رغباته ، ومع ما يتفق مع أهوائه ، فلا تغتر بنصيحة الفاسق ، فلا تستسلم للشيطان ، فهل رأيتم فريقًا يستسلم للفريق الأخر ويعلن أنه منهزم أم يكافح ويناضل ويحاول أن يبطل له خططه ، قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٥-٣٩] .

❧ بداية الحديث عن بني إسرائيل ؛ لكي يستبين لنا من خلال هذا الحديث كيف انحرفوا عن طريق ربهم المستقيم ، ففيه التنبيه لنا والبيان ، أن لا نسلك مسلك هؤلاء مع ربهم سبحانه في جحودهم لنعمه التي أنعم بها عليهم ، بل كان من وجوب التذكير بالنعم ووجوب شكرها ودخول الإنسان في طاعة ربه سبحانه ، فتذكر الإنسان لنعم ربه أوجب في قيامه بالشكر والاستدامة على الطاعة ، قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [البقرة : ٤٠-٤١] .

ﻫ الدافع دومًا لتقصير الإنسان في طاعة ربه هو حب الإنسان للدنيا ، وإيثار الدنيا على أمر الآخرة ؛ فكان التنبيه من الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾[البقرة : ٤١] .

ﻫ احذر من التلبيس وإن كان هذا يَخِّيل على القوم عندما تلبسون لهم الحق بالباطل ، فالله عليم بذات الصدور ، فعليكم بأداء النصيحة لعباد الله وخير معين على ذلك الاستمساك بطاعة الله والخضوع لتشريعه سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[البقرة : ٤٢-٤٣] .

ﻫ لا يليق بالإنسان أن يدعوا غيره إلى الطاعة وهو يتخلف عن ذلك ، فهذا ليس بسلوك العقلاء ، فلا يليق بالإنسان أن يرشد الناس إلى الخير ويتخلف هو عن ذلك ؛ فهذا خطأ الإنسان في حق نفسه ، وهذا هو سبيل ظلم الإنسان لنفسه ، قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة : ٤٤] .

فلتحذر !! أن تكون ممن يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهي عن المنكر ويفعله ، وإلا كنت مستحقًا للوعيد الذي ذكره النبي ﷺ : « **يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت أمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه** » [١].

---

(١) البخاري/ ك بدء الخلق – باب صفة النار وأنها مخلوقة .

تنبيه :

آيات ينبغي للعبد من إحكامها:

١ - ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٤] .

٢- ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] .

٣- ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ ﴾ [هود : ٨٨] ، فابدأ بنفسك ، ثم اتجه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إن الطاعة مبناها على المشقة ؛ فالجنة حفت بالمكاره ، كما قال النبي ﷺ ، ولكن أرشد الله عباده إلى أدوات تعين العبد على أن يقطع هذا الطريق بأمان ويتدرب من خلالها على تحمل المشاق والصعاب ، وهي أدوات تحتاج من الإنسان لكي يقوم باستعمالها أن يصحح اعتقاده أولًا ، وأن تتضح عنده الرؤية بالنسبة لأمر الآخرة .

والذي يخفف على العباد العبادات ، ويوجب لهم التسلي في المصيبات ، وينفس عنهم المكروبات ، والزجر عن السيئات أنهم يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، فهم بالآخرة يوقنون ، قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة : ٤٥-٤٦] .

تطبيقات عملية :

أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر صلى ، فعند النوازل نهرع ونفزع إلى الله تعالى بالصلاة ، كما الحال في صلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء .

وكذلك مع كل الشدائد التي يتعرض لها الإنسان .

احتياج الإنسان إلى تكرار التذكرة ، ولا ينتفع بالذكرى إلا المؤمن:

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة : ٤٧] .

التخويف بيوم القيامة :

فالإنسان ما ينبغي أن يغفل عن هذا المقام الذي سوف يقوم فيه بين يدي الله سبحانه ، حيث لا ينتفع بنسب ، ولا بحسب ولا بمال ، ولا بجاه ، ولا بعشيرة ، فلا يدافع عنك في ذلك الموقف إلا عملك ؛ حيث أن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، فهذا يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[البقرة : ٤٨] .

الإنسان يحتاج أن يُذكر بأفراد النعم التي أنعم الله بها عليه ، وهذا يتطلب منه لحظات تأملية ، نمرر من خلالها هذه النعم على القلوب ، وننظر إلى ما هو المقابل الذي قابل به الإنسان هذه النعم ، [نعمة النجاة من الكفر ـ نعمة الإسلام ـ نعمة الإيمان ـ نعمة القرآن ـ نعمة أنك تنتسب إلى هذه الأمة المرحومة إلى خير أمة أخرجت للناس ـ نعمة الطاعة ـ نعمة السنة ـ نعمة الصحة ـ نعمة العافية ـ نعمة العلم ـ نعمة الصلاة] ، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[إبراهيم : ٣٤] ، قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ

مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٩-٥٠] .

☜ من نعم الله على عبده أنه سبحانه موصوف بالعفو ، والعفو أحب إليه من العقوبة ، ورحمته سبحانه سابقة لغضبه ؛ فهو رب رحيم ودود بر شكور ، وكان من نعمه سبحانه أن يمنح العبد الفرصة تلو الأخرى ، ولا يؤاخذه بذنبه عند فعله ، ولكن يمهله ؛ لعله يتوب ، ولكن إن تمادى في غيه أخذه أخذ عزيز مقتدر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ٥١-٥٤] .

☜ تطاول اليهود وتماديهم في الغي وسوء أدبهم وعجرفتهم والجرأة على ربهم وعلى رسوله ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥-٥٧] .

☜ احذر من التلاعب بكتاب الله وأوامره ونواهيه فبطش ربك لشديد ، وإياك والتأويلات الباطلة ؛ فإنها تؤدي بالإنسان إلى الهلاك ، وإلى مصير مظلم ، واحذر أن تنزل عليك نقمة ربك تعالى ؛ إن تلاعبت بأحكامه وشرعه ونحيتها جانبًا عن حياتك ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ

شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[البقرة : ٥٨ ، ٥٩] فانظر إلى ما حل بالقوم عندما نكلوا عن الجهاد ، كما قال النبي ﷺ : « **إذا تبايعتم بالعينة ، واتبعتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ؛ سلط الله عليكم ذلًا لا يرفعه حتى تراجعوا دينكم** » .

احذروا أن تقابلوا نعم ربكم عليكم بالعصيان فتسلب من بين أيديكم فالنعم ينبغي أن تقابل بالإيمان والطاعة .

فهذا رزق ربكم إليكم أتاكم سبحانه إياه من غير حول منكم ولا قوة من غير سعي ولا تعب واحذروا أن تكونوا كاليهود في جحودهم ونكرانهم لنعم ربهم سبحانه عليهم .

فكان من نعمه سبحانه عليهم أن يسر لهم إخراج الماء وهم في أرض لاماء فيها ولا طعام ليعلموا قدرة الله تعالى ويتعرفوا على فضله عليهم ورحمته ومنته وإحسانه ولكنهم والله قابلوا ذلك بالعصيان والفسوق ، قال تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة : ٦٠] .

قد يزدري الإنسان نعمة ربه عليه إن كانت مقدورة ومألوفة ، ودومًا يحوم الإنسان حول غير المألوف حتى لو كان أدنى مما منحه الله تعالى ؛ وما كان ذلك إلا لانتكاس الفطرة ، ولقد حذرنا النبي ﷺ من أن نزدري نعمة الله علينا

وبالتالي لن نقوم عند ذلك بشكرها ؛ لأن البصيرة قد عميت فلا نراها نعمة فكيف نؤدي شكرها ، فعندها تنزل اللعنات والسخط والغضب من الله تعالى ، ويضرب على الإنسان الذل والصغار ، فالنفوس الخبيثة تأنف من الطيب ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٦١] .

فانظر كيف ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة والصغار ، وباءوا بغضب من ربهم ؛ وذلك بسبب الاستكبار عن اتباع الحق والكفر بآيات الله ، وإهانتهم لحملة الشرع ، بل وصل بهم الأمر إلى قتلهم بغية إسكات صوت الحق ، وكذلك كنتيجة لاعتراضهم على أوامر ربهم وازدرائهم لنعمه سبحانه .

انظر إلى الصورة المقابلة لهذه الصورة المنكرة ، وهي الصورة المشرقة لأهل الاستقامة على دين ربهم ، وما أعد لهم الله من النعيم السرمدي الذي لا يبدل ولا ينقطع ، وهذا الأجر وتلك المنزلة لا يستحقها إلا من لازم بين الإيمان والعمل الصالح ، وهذه هي نتيجة العمل الصالح المرتكز على الإيمان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] .

الإنسان ينبغي أن يكون متذكرًا غير غافل عن العهود والمواثيق التي بينه وبين ربه تعالى من الإيمان بالله وحده لا شريك له واتباع رسله ، ولابد من الجدية في الاستمساك بدين الله وشريعته ، والعمل بما تحتويه هذه الشريعة ، ولنعلم أنه لا يَعتبر بالآيات إلا المتقين ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٦٣] .

اعرفوا سعة رحمة ربكم عليكم وأن رحمته سبحانه سابقة لغضبه واعرفوا حلم الله على العصاة .

فما زال الإنسان يسعى في بغيه وعتوه وظلمه وطغيانه وما زال ينقض المواثيق والوعود والعهود التي أخذها الله عليه والله يحلم عليه ويتفضل عليه بالتوبة عسى أن يتوب إلى ربه ويقلع عن الذنوب والمعاصي على الرغم أن توليه وإعراضه عن طاعة ربه لموجبة أن يحل به أعظم العقوبات وأشدها .

فهذا هو ربكم المعبود لا إله إلا هو ولا رب سواه ، ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [البقرة : ٦٤] .

الاعتبار والاتعاظ بحال الأمم السابقة ، خاصة أحوال بني إسرائيل وجرائمهم المتصلة ، وعجرفتهم وتعنتهم - وبيان لعظم جرم الاحتيال على شرع الله تعالى ، وكيف آل بهم الأمر ؛ حتى كانت هذه العقوبة أن مُثلوا بأخبث أصناف الحيوانات ، وهذه عقوبة من نقض الميثاق ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة : ٦٥] .

- السعيد من وعظ بغيره ، فالعبرة والعظة تمنع وتردع المعتبر بها ، وبيان أن التقوى عصمة من كل محذور ، وعلامة التقوى الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأمم السابقة ، قال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة : ٦٦] ، فإياكم أن ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل .

- عجرفة اليهود وسوء أخلاقهم وسوء أدبهم في مخاطبتهم لرسل ربهم ، الذين ينيرون للناس طريقهم وسط ظلمات وضلال الإلحاد والكفر ، وكذا تعنت اليهود وسوء ظنهم بربهم سبحانه .

ونتعلم أن الإنسان إن شدد على نفسه شدد الله عليه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾[البقرة : ٦٧-٧١] .

ويتبين كذلك أن الاستهزاء والسخرية والتنقص من شأن الآخرين ، من أخلاقيات الجاهلية ، ورسل الله منزهون عن مثل ذلك الخُلق ، ولكن اليهود هم اليهود .

احذر أن تبيت أمرًا بليل .

واحذر أن تضمر أمرًا ما في قلبك .

أما علمت أن الله مخرج ما أخفيته - فما ظنك بربك الذي لا تخفى عليه خافية لا في الأرض ولا في السماء لا بليل ولا بنهار فربك قدير علام الغيوب محيي العظام وهي رميم فلتنزجروا عما يضركم ولتقلعوا عما يسخط ربكم عليكم ، ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٢-٧٣] .

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله .

فهل أنت من أصحاب القلوب القاسية - فلتحذر أن تكون منهم فإنهم يعرفون بقلة ذكرهم لربهم وبعدم اعتبارهم واتعاظهم فلا تؤثر فيهم الموعظة فهؤلاء يهود لا رقة ولا لين في قلوبهم بل هم من أقسى الناس قلوبًا بل الحجارة ألين وأرق من قلوبهم ، ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٤] .

فقد بين لنا اللطيف الخبير ، الخلاق العليم قلة من يؤمن من اليهود ، فهم لهم قلوب قاسية ؛ حتى نقطع الطمع في إيمانهم أو تحريك قلوبهم للإيمان ، فلا سبيل لتضييع الأوقات والأعمار مع قوم ختم الله على قلوبهم ، قال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا

خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥-٧٧] ، ففيها تنبيه وتعظيم لجرم مَنْ علم الحق ثم حاد عنه ، فقد توعده الله بالعذاب الأليم ، وتعظيم لجرم من يعامل الناس بوجه ويخفي عنهم الوجه الآخر الذي عقده في قلبه ، فهذا لم يكن إلا لقلة معرفة هذا الفاعل بصفات ربه سبحانه ، الذي يعلم السر وأخفى ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة : ٧٧] .

الوعيد الشديد لمن لَبس أمر الدين على الناس من أجل الدنيا ، وعلى المستمع أن يعقل فما من قول إلا ولابد أن يكون عليه الدليل على صحته ، فإياك والاغترار بمعسول الكلام ـ فالكلام في دين الله هو ما قال الله وقال الرسول ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٨-٧٩] .

وعجبًا !! لمن سأل أهل الكتاب عن شيء وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله ، تقرءونه غضًا لم يَشُبْ ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا منهم أحدًا قط سألكم عن الذي أنزل عليكم [1] .

---

(١) البخاري/ ك الصلح .

إياك والاستهانة بعذاب الله ، وإياكم والتغرير ، وإياك وأصحاب العقيدة الفاسدة ، الذين يزينون لأهل المعاصي المعاصي ويعدوهم على ذلك بالمغفرة ، فهذه دعوة للفاحشة ، ودعوة لانتهاك حرمات الله تعالى ، ودعوة للاستهانة بعذاب الله تعالى ، فإياكم والفرية على الله تعالى ، وهذه بدعة ابتدعتها اليهود وغرهم بذلك الشيطان ، فما ظنك بقوم هم جنود لإبليس ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠] .

فنقول : أين الدليل على صحة ما تقول ؟

النعيم والعذاب مبناهما على ما كسبت أيديكم ، فلا طمع في عفو ورحمة ومغفرة الله مع قيام الإنسان على المعاصي والمحرمات ، فدخول الجنة والنار موقوف على اكتساب العبد ، قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١-٨٢] .

فاحذر !! فالأمر ليس كما يتمنى الإنسان ويشتهي ؛ فلقد قال النبي ﷺ : « **إياكم ومحقرات الذنوب ؛ فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه** » ، وإن رسول الله ضرب لهم مثلًا كمثل قوم نزلوا بأرض فلاة ، فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتى جمعوا سوادًا ، وأججوا نارًا ؛ فأنضجوا ما قذفوا فيها [1] .

---

(١) مسند الإمام أحمد برقم (٣٨١٨) .

إياكم والتولي والإعراض عن تنفيذ بنود الميثاق الذي أخذ علينا ، وإياكم والتشبه باليهود في نقضهم لمواثيقهم التي أخذها الله عليهم ، وإياكم وتنحية جانب من أحكام الله تعالى عن التطبيق ، فهذه الشريعة لم ينزلها الله تعالى لكي نختار منها ما نراه مناسبًا وتنحية ما لا نراه مناسبًا ، وإلا سلك الإنسان بذلك سبيل الكافرين الذين أعرضوا كلية عن شريعته .

فالإيمان يستوجب عليك العمل بجميع الأحكام ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقر : ٨٣-٨٥] .

عجيب أمر الإنسان !! يقر على نفسه ثم يخالف : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [البقرة : ٨٤-٨٥] ، فاحذر من خزي الدنيا والآخرة ؛ فإنه لا جزاء لمن فرق بين أحكام الله إلا كان نصيبه : ﴿ خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ ﴾ [البقرة : ٨٥] .

ودومًا الدوافع التي تدفع الإنسان للتفريق بين أحكام الله تعالى هي الرغبة في الدنيا ، وكأن هذه الأحكام تحرم الإنسان من الاستمتاع بالدنيا ، وكأن تطبيق هذه الأحكام سيضيق عليه سبيل العيش ، وكأنه لو قام بتطبيقها لعاش في ضنك وشدة ، ونسي المسكين قول ربه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] ، ونسي هذا المسكين أن الحياة الطيبة السعيدة لا تكون إلا في تطبيقه للأحكام التي فرضها الله علينا : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] ، قال تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٨٦] .

اليهود من أخلاقياتهم المركوزة فيهم أنهم أهل عناد وتعنت ومخالفة واستكبار ، وهم يعبدون الهوى ، فإياكم وإياهم ، فاحذروهم ، وإياكم والاغترار بهم ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٧] .

وقد دفعهم الاستكبار والعناد واتباع الهوى إلى التبديل والتحريف في كتاب ربهم ، بل دفعهم ذلك إلى أن يعاملوا الأنبياء أسوأ معاملة من التكذيب والتقتيل ، بل كانوا يباهون بذلك : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

وكانوا يقولون عن السبب في عدم فهمهم لما جاء به الرسول وبالتالي عدم اتباعه ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ [البقرة : ٨٨] .

الفهم نعمة من نعم الله تعالى ، وقد يحرمها الإنسان بسبب كفره ومعاصيه ، فيسبب ذلك الطبع على قلبه فتكون أغلفة على قلبه تحجب عنه هذا الهدى والنور ، قال تعالى : ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٨٨] .

احذر من رد الحق لعدم موافقته للهوى .

واحذر من أن تستجلب على نفسك لعنات الله المتابعة فتصب على رأسك .

واحذر من الحسد والبغي ومن سوء الخاتمة .

واحذر من أن تتدخل في سلطان ربك فهو سبحانه يتولى القسمة بين عباده وهو سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

واحذر من طغيان العلم فقد يدفعك إلى الاستغناء عن ربك .

ولماذا كل ذلك ؟

أمن أجل الدنيا ـ فكم تساوي نفسك وكم تزن حتى تبيعها رخيصة بثمن بخس مقابل خسرانك للآخرة .

فاحذر من غضب ربك عليك ومن عذابه فإن عذابه أليم شديد ، ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [البقرة : ٨٩-٩٠] .

ـ اليهود ليسوا من أتباع الحق حتى لو كان ظاهرًا بينًا واضحًا فهم لا يعيشون إلا في ظلمة كظلمة قلوبهم ، فهم أهل عناد وتعنت واستكبار ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٩١-٩٢] ، فهم يتبعون الأهواء والآراء الفاسدة التي هي من وحي الشيطان إليهم ، فموسى عليه السلام قد جاء إليهم بالآيات الواضحات والدلائل القاطعات على أنه مبعوث من قبل الله لهم ، والله أيده بالعديد من الآيات التي شاهدوها ، ومع ذلك لما عبدوا عبدوا العجل ؛ فهم أهل بهت وكفر وعناد .

ـ المطلوب الجدية في الأخذ بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ ، وأن مسلك المؤمن مع كتاب ربه السمع والطاعة ، ولا يسلك مسلك أهل الكفر والإلحاد والنفاق ، وهو السمع والتولي والإعراض ، ثم يدعون بعد ذلك لأنفسهم الإيمان ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٣] .

ـ إلى أصحاب الأماني العريضة ...

إلى من غرهم الشيطان واغتروا بما يوحيه الشيطان إلى أوليائه ...

إلى هؤلاء الذين اطمأنوا في نفوسهم وقلوبهم أنهم هم أهل الجنة ، مع قبيح صنيعهم وفعالهم ...

نقول لهم :

ما حالكم لو قيل لكم سيأتيكم الموت الآن ؟! عليكم أن تتمنوا الموت لو كنتم مصدقين مطمئنين إلى ما تقولون ، لماذا تتأخرون عن هذا النعيم الذي لا يوازيه ولا يساويه نعيم الدنيا ؟!

فهيا بنا نتمنى الموت إن كان الحائل بيننا وبين متاع الآخرة الذي اطمأنت النفوس أنه ما أعد إلا لنا فلنتمنى الموت ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [البقرة : ٩٤-٩٥] ، فالكافر والفاجر يعلم أنه على الباطل ؛ لذا نقول : إنه لن يتمناه أبدًا ؛ لشدة حرصه على الحياة ، ولأنه يعلم أنه على باطل وفساد ، فنقول له :

وماذا بعد الحياة ؟

وماذا لو عمرت ألف سنة ؟

ما هي النهاية ؟ فأين تذهبون ؟

قال تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾[البقرة : ٩٦] .

عداوة اليهود لرسل ربهم من البشر والملائكة ، وأن الكفر بملك أو برسول من رسل الله هو كفر بالله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ**

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٧-٩٨] .

القرآن الكريم كتاب الله المصون والمحفوظ من التبديل والتحريف وهو حجة على المعاند فهو واضح الدليل ظاهر الحجة والبرهان .

فلا يرده إلا فاسق خارج عن طاعة ربه سبحانه مستكبر على قبول الحق المبين .

ولتحذر من اليهود ، فإنهم لا يلتزمون بوعد ولا يفون بعهد ـ فإياك والثقة فيهم فإنهم ليسوا بأهل ثقة بل أكثرهم لا يتركون ماهم عليه من الباطل ومن الكفر والتكذيب ، ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٩٩-١٠٠] .

اليهود من أتباع الشيطان ، والشياطين يدفعون الناس إلى الكفر بربهم ، فيعلمون الناس السحر وهو سبيل الكفر بالله ، فلتحرص على ما ينفعك ولا تتعلم إلا ما يقربك إلى ربك سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ

مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠١-١٠٢] .

❧ احذر أن تتشبه بالكافرين في مقالهم وفعالهم ، فلتحذر من أن تسلك مسلك أهل الضلال والزيغ ، خاصة في سفاهتهم مع أنبياء الله ورسله ، وسبيلهم في الاستهزاء برسل الله تعالى التنقيص من مكانتهم .

❧ ما عند الله ينال بالإيمان والتقوى وباجتناب الشرك والمعاصي ـ فما عند ربك هو خير وأبقى ـ وهو ما ينبغي أن يسعى إليه الإنسان ، فإلى طريق الخير وطريق الجنة والفلاح في الدارين ، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٣] .

❧ وبيان أن الكافرين لم يضمروا لأهل الإيمان إلا الحقد والحسد ، وما يودون لهم إلا الانحراف عن سبيل ربهم المستقيم ـ فإياكم وإياهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [البقرة : ١٠٤-١٠٥] .

❧ قل كل من عند الله .

فالله هو الملك يتصرف في ملكه كما يشاء سبحانه وهو المتولي لشئون خلقه فله سبحانه الخلق والأمر فهو سبحانه يحكم في عباده بما شاء يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء ويبيح ما يشاء ويحظر ما يشاء وهو الذي يحكم ما يريد ولا معقب لحكمه .

وهو سبحانه قد يأمر بالشيء فيه من المصلحة التي يعلمها سبحانه في وقت ما ثم ينهي عنه في وقت آخر ولا يسأل سبحانه عما يفعل وهم يسألون .

فقد يكون هذا الحكم مناسبًا لفترة دون أخرى فهو سبحانه أرفق بعباده من رفقهم بأنفسهم لما يعلم من مصلحة عباده أكثر مما يعلمون هم .

فلا يسعك إلا التسليم والانقياد ، ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٠٦-١٠٧] .

إن بغية أهل الكتاب والمشركين وهدفهم الأسمى هو رد المؤمنين عن دينهم وردهم عن طريق ربهم المستقيم ، وهم في ذلك يستعملون كل الوسائل والأدوات التي يحققون من خلالها هدفهم الأسمى ، وهو رد المؤمنين عن دينهم ، فما عليكم إلا التمسك بدين ربكم وإقامة شعائره وشريعته ، ولا يغيب عنكم مراقبة الله لكم في كل ما يصدر منكم ، قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

فلتنتبه !! لشدة عداوة الكافرين للمؤمنين ، وبيان لنفوسهم الحاقدة وما أضمروه في قلوبهم تجاه المؤمنين ، وأن اليهود يعلمون الحق ولكنهم يكتمونه ؛ والدافع الحسد ، فهو الداء الذي حملهم على الجحود .

سبيلك لتعمير لحظاتك .

وسبيلك لاستثمار أوقات عمرك هو أن تتقدم بمزيد من الأعمال الصالحة والقربات النافعة .

ولتعلم أن ربك يحفظ عليك أعمالك فعملك لا يضيع عند الملك الديان البصير بأحوال خلقه .

فلتنشغل بما ينفعك ويعود عليك عاقبته يوم القيامة ولتحسن وتزين وتجود هذا العمل فالله يراقبك .

فلتجدّوا في الأعمال فإن ربك يرى ، ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ١١٠] .

احذروا أن تتعاملوا مع رسل ربكم كما تتعامل اليهود مع رسل ربهم ، خاصة في طرح أسئلة التعنت ، فاحذروا من أن تسلكوا مسلكهم ، فهم يعلمون الحق ولكنهم يحاولون تغطيته وإطفاء إشراقه وتضليل أهله ، قال تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة : ١٠٨] .

كيف لبس الشيطان الأمر على أهل الكتاب حتى جعلهم يدّعون أن الجنة ليست لأحد سواهم ، فالداهية ليست في فعل الإنسان للمعصية فحسب ، ولكن إذا ركب عنده الظن أنه من المحسنين ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١١] ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] .

سبيل العبد للوصول للجنة ، سبيل واضح بين ، فلا سبيل لتلاعب الشيطان بك ، فالدرجات لا تنال بالأمنيات والدعاوى بل لا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول ، فلا يستحق دخول الجنة إلا كل من أخلص نفسه لله تعالى لا يشرك به شيئًا ، قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ١١٢] .

العداوة والبغضاء مستحكمة بين أهل الكتاب ولو كان الظاهر غير ذلك ، تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى ولا ينبئك مثل خبير ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

المساجد بيوت الله تعالى ما بنيت إلا للصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء ، فمن سعى في خرابها وتخريبها ، والصد عن سبيل الله ، وترويع الآمنين المصلين ؛ فقد توعده الله تعالى بالخزي في الحياة الدنيا ، والعذاب الأليم في الآخرة ، وبيوت الله لا يعمرها إلا من آمن بالله وحده لا شريك له ، وقام بأداء الواجبات التي ألزمه الله إياها ، وأعتى صور الخراب هو : منع الناس من إقامة شعار العبادة فيه .

والعمارة : هي إحياء المكان ، وشغله بما وضع له ، وليس المراد بعمارتها زخرفة المساجد وإقامة صورته فقط ، ولكن عمارته بذكر الله فيه ، وإقامة شرعه فيه ، ورفعه عن الدنس والشرك ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ١١٤] .

شمول ملكوت الله لجميع الآفاق :

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

احذر من فساد الاعتقاد ، وسوء الظن بالله تعالى ، والإلحاد في أسمائه سبحانه ، فينبغي تعظيم الرب فلا تنسب إليه ما لا ينبغي أن ينسب إلا إلى الرب تعالى ، وينبغي التعرف على قدرته سبحانه ؛ لكي نعظمه ونجله بما هو أهله ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : ١١٦-١١٧] ، لذا قال النبي ﷺ : « **قال الله تعالى : كذبني ابن آدم ! ولم يكن له ذلك ، وشتمني ! ولم يكن له ذلك ، أما تكذيبه إياي : فيزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان. وأما شتمه إياي : فقوله إن لي ولدًا ، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدًا** »[1] .

وقال النبي ﷺ : « **ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ؛ إنهم يجعلون له ولدًا ، وهو يرزقهم ويعافيهم !** »[2] .

قلوب أهل الباطل متشابهة ، ولو تباعدت الأزمنة والأمكنة ، فأهل الباطل على شاكلة واحدة حتى في طلبات التعنت التي يطلبونها من رسل الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن

---

(١) البخاري كتاب التفسير ـ باب تفسير قوله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

(٢) البخاري كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ .

﴿ قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ١١٨] ، وهذا كما قال الله تعالى عن أحوال أشباههم من الكافرين وقالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة : ٥٥] ، ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء : ٩٠] ، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ ﴾ [الفرقان : ٢١] ، هيهات هيهات أن يؤمنوا حتى لو حقق لهم ما يطلبون : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس : ٩٦-٩٧] .

مهمة النبي وكذلك الدعاة : البشارة والنذارة لقومهم ، وهم غير مسئولين عن النتائج ، فمهمتهم منحصرة في البلاغ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [البقرة : ١١٩] .

التحذير من اتباع طرائق اليهود والنصارى ؛ فبغيتهم إضلال المسلمين عن دينهم ، ولن تحصلوا على رضاهم إلا باتباع طرائقهم الضالة ، فلتعلم : أن الهدى هو هدى الله لا غيره ، وبالتالي ينبغي أن يتعرف الإنسان على هدى ربه الذي ليس وراءه هدى بل كل ما عداه فهو هوى ، والمؤمن متبع لكتاب ربه ولسنة رسوله ﷺ حق الاتباع ، يحل ما أحل الله ، ويحرم ما حرم ، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢٠-١٢١] .

ختام الكلام الموجه لبني إسرائيل ، بعد هذا البيان الكافي الشافي بهذا النداء المتكرر ؛ وذلك مبالغة في النصح ، قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢٢-١٢٣] .

سبيلك لكي تنال الإمامة في الدين القيام بتنفيذ ما كلفك الله به من الأوامر والنواهي ، ولا سبيل لتحقيق هذا المطلب ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ إلا بتحقيق ذلك وآلته الصبر والتقوى ، قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

المسلم يجتهد في إتمام العمل المكلف به ، ومع ذلك لا يركن ولا يطمئن إلى فعله ولكن قلبه معلق دومًا بربه تعالى في قبول الأعمال ، فالمسلم يخاف من حبوط عمله وغاية أمنيته أن يموت على الإسلام والتوحيد ، فالمؤمن يعمل العمل المكلف به وهو دائر بين حالين « الخوف والرجاء » .

قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧-١٢٨] .

فالمسلم دومًا لا تراه إلا منيبًا إلى ربه ، تائبًا إليه فهو محتاج إلى استدامة التوبة ؛ مخافة التقصير ، فإن العبد وإن اجتهد في طاعة ربه فإنه لا ينفك عن

التقصير من بعض الوجوه ، فالمسلم يطلب دومًا الثبات على دين الله تعالى ، ولذا كان النبي ﷺ يكثر من قول : « **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » .

شفقة الأب على أبنائه ورغبته الخير لهم ، فليس له من بد إلا دعاء ربه سبحانه ، وكذلك وصيته لأبنائه بأن يلتزموا بشرع ربهم الذي اصطفاهم عليه ؛ ليطمئن على حالهم أن لا يفارقوا دين ربهم حتى يموتوا ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[البقرة : ١٢٩-١٣٢] .

وهذه هي وصية الله لنا أن نلتزم الإسلام ولا نفارقه حتى الموت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران : ١٠٢] ، ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[الحجر : ٩٩] ، الإسلام ملة الأنبياء قاطبة وإن تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم .

وكيف يوصي الآباء الأبناء بالتمسك والالتزام ، بالإسلام ويأخذ عليهم الميثاق على الثبات على التوحيد بعد تقريرهم بالتوحيد والإسلام ، قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة : ١٣٣] .

إن الهدى هدي الله تعالى ، والمسلم يحتاج بين الحين والحين أن يعلن عن عقيدته ويجليها بوضوح ، وأن يجددها ويصونها من أي تشويه أو شوائب ؛ ليقطع طمع الزائغين والمنحرفين ، فلتعلن عن عقيدتك وتجهر بها وتصدع بها وتدعو إليها ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٥–١٣٦] .

طريق الهداية لا يعرف إلا من خلال تطبيقات الصحابة رضي الله عنهم ؛ فقد اعتمدت طريقة الصحابة في الإيمان ، فاحذر من خداع اليهود والنصارى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

كيف يلقنونا الله ما نرد به على مزاعم اليهود والنصارى ن فإنهم يعلمون الحق ويكتمونه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٩–١٤٠] .

من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤١] .

✍ إياك والتشكيك في أمر دينك ، فلا تهتم بأمر السفهاء والمشككين والمرجفين ، ولا يكون جل اهتمامك هو محاولة إيجاد المبررات لأفعالك ـ فإنهم ما أرادوا إلا التشكيك فهم سفهاء ـ ، فلتحذر من السفهاء الذين ليس لهم إلا الاعتراض والنقد والطعن في الدين ، والقدح في أحكامه ، فإليك عن السفيه فلا تهتم باعتراضه ؛ فإنه يتكلم فيما لا يدركه بعقله أو بفهمه القاصر ، ولتعلم أن الإنسان يبتلى بالطاعات ؛ للنظر إن كان الإنسان على عقيدة صحيحة أم لا : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٢-١٤٣] ، فلنعلم أن الله تعالى لا يضيع أجر العاملين سواء كان صغيرًا أو كبيرًا .

وبيان لفضيلة هذه الأمة وأنها الأمة الوسط الشاهدة لكل الأنبياء على قومهم ؛ قال رسول الله ﷺ : « **يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك ، فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون : لا. فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم . فيقال : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته. فيدعى محمد وأمته ، فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم . فيقال : وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا ؛ فذلك قول الله ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عُدْلًا ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ**

ﭐلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ »(١) ، فالأمة المحمدية ، هي أمة العدول الأخيار (تزكية الله تعالى لهذه الأمة ، وتعديل الله لهم) .

ولنعلم أن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فله أن يكلف عباده بها شاء وينسخ ما يشاء ، وله الحكمة التامة ، والحجة البالغة في جميع ذلك ، بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكًا كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق ، فأما المؤمن فهو كما قال الله تعالى عنه : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[النور : ٥١] ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ ﴾[الأحزاب : ٣٦] .

لك أيها الإنسان أن تطلب من ربك ما تتمنى من خير فهو سبحانه الملك الذي بيده ملكوت كل شيء وهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فليس هناك بشيء مستحيل على ربك .

وكان من منن الله تعالى على هذه الأمة المرحومة أن جعل قبلتها في صلاتها إلى البيت الحرام خير بقاع الأرض تحقيقًا لمطلب حبيب الرحمن محمد ﷺ لتعلم وتتعلم أيها الإنسان أن عملك ينبغي أن تبتغي به وجه ربك الكريم وإياك وأن تنتبه إلى معاندة المعارضين فأنهم يعلمون الحق ولكنهم أبوا الاتباع وما رضوا إلا بالإعراض والإباء .

---

(١) « مسند الإمام أحمد » (١١٤٩٦).

فإياك وإياهم فإن ربك لهم لبالمرصاد ، ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٤] .

احذر من المعاندين المخاصمين ربهم سبحانه ، فلو كانت البينة أوضح من شمس النهار ما حادوا عن ضلالهم وزيفهم ، فلا تنشغل بهم ، واحذر من اتباع أهواءهم ؛ فإن المعاند وإن طلب الدليل والبرهان على صدق المبلغ كان طلبه على سبيل التعنت لا الإرشاد وبالتالي فإنه لا ينتفع بالآيات ، فليس عنده شبهة تزال عن طريق هذه الحجج والبراهين ، إنما هي المكابرة والعناد ، فإياك وترك الدليل بعد إنارته .

وإياك واتباع الهوى ، وعليك بالثبات على الحق ، حتى ولو خالفك المجموع ، ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٤٥] ، فلن يتركوا إلههم الهوى ويتبعوا هذا الحق الذي جئت به بعدما تبين لهم .

احذر من ضلال اليهود والنصارى ، ولا تنشغل بما يثيرونه من الشبه والشكوك ، فالحق واضح وجلي عندهم ، ولكن ماذا تفعل لطائفة ختم الله على قلوبهم وسمعهم وجعل سبحانه على أبصارهم غشاوة ؟ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة : ١٤٦-١٤٧] .

المسابقة والمسارعة في كسب الخيرات ، وهي جميع الطاعات التي يُنال بها سعادة الدارين ـ ، ولا تخشى جدال المجادلين ؛ فتترك الحق الذي أنت عليه مخافة جدالهم ، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٨-١٥٠] .

من نعم الله علينا مبعث النبي ﷺ حيث لا معرفة للعباد بطريق ربهم ورضوانه إلا عن طريق النبي ﷺ ، ومهمته تعليم الناس أحكام ذلك الدين والأخذ بأيديهم ليرقوا ويسموا ليأهلوا أن يكونوا من أهل الجنة : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥١-١٥٢] ، فلتقابل هذه النعم بشكر الله تعالى وأن يلهج الإنسان بذكر ربه تعالى ، وإياك أيها الإنسان وجحود النعم كما جحدت بنو إسرائيل نعم ربها عليهم .

فمهمة الرسول :

- يتلوا عليهم آيات ربهم .
- يزكيهم ويطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس ، وأفعال الجاهلية .

- يخرجهم من الظلمات إلى النور .
- يعلمهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ .
- يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون .

قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] ، ولقد ذم الله تعالى من لم يعرف قدر هذه النعمة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] ، ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقد بين سبحانه أن مزيد من النعم مع مزيد من الشكر : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٧] .

إرشاد الله العباد للأدوات المعينة على طاعته ، وعلى الاستمرار على الطاعة ـ وهي الأدوات التي نستمطر من خلالها المدد والعون من الله تعالى ، ونستمد من خلالها التأييد والنصرة والحفظ من الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

والصبر المطلوب والمقصود :

- صبر على ترك المحارم والمآثم .
- صبر على فعل الطاعات والقربات .
- صبر على المصائب والنوائب .

إلى راغبي الحياة – وإلى راغبي الخلود :

سبيلك لحياة ممتدة لا انقطاع فيها .

سبيلك للشرف هو الموت في سبيل الله تعالى . فالمحسن حي ولو كان في دار الأموات ، والمسيء ميت ولو كان في دار الأحياء ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[البقرة : ١٥٤] .

المعادن لا تظهر إلا من خلال ما تتعرض له من الابتلاءات ، وحكمة الابتلاء لإظهار المعدن وجودته ، وأن الابتلاء قد يكون بالسراء وقد يكون بالضراء ، وقد أثنى الله تعالى على المستقبلين لقضاء ربهم وقدره بالصبر والاحتساب ، فكانت لهم البشرى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[البقرة : ١٥٥-١٥٧] ، قال عمر بن الخطاب ﷺ عن هذا الثواب الذي أعده الله تعالى للصابرين على المصائب والابتلاءات ، قال : « نعم العدلان ونعم العلاوة » .

وكان من نعم الله علينا أن أخبر سبحانه بما قدر من بلاء ؛ حتى يستطيع الإنسان توطين النفس لاستقباله بلا جزع أو تسخط ، ليخفف عنهم ذلك عند المعاينة ، وهذه رحمات الله المتتالية على العباد .

انتبه !! ... ثواب الاسترجاع عند المصيبة :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : أتاني أبو سلمة يومًا من عند رسول الله ﷺ ،

فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولًا سررت به ، قال : « **لا يصيب أحدًا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ، ثم يقول : اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها ؛ إلا فعل ذلك به** » ، قالت أم سلمة ﵂ : فحفظت ذلك منه فلما توفي أبو سلمة استرجعت ، وقلت : « **اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها** » ، ثم رجعت إلى نفسي فقلت : من أين لي خير من أبي سلمة ؟

فلما انقضت عدتي استأذن عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهابًا لي ، فغسلت يدي من القرظ وأذنت له ، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها ، فخطبني إلى نفسي ، فلما فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ما بي أن لا يكون بك الرغبة ، ولكني امرأة فيَّ غيرة شديدة ؛ فأخاف أن ترى مني شيئًا يعذبني الله به ، وأنا امرأة قد دخلت في السن ، وأنا ذات عيال ، فقال : « **أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله ﷻ عنك ، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي** » ، قالت : فقد سلمت لرسول الله ﷺ فتزوجها رسول الله ﷺ ، فقالت أم سلمة بعد ـ أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه : رسول الله ﷺ .

والأمر لا يتوقف على هذا القول عند حدوث المصيبة ولكن متى تذكرها فأحدث استرجاعًا ؛ فلقد قال رسول الله ﷺ : « **ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها ـ وإن طال عهدها ـ فيحدث لذلك استرجاعًا إلا جدّد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها** » [1] .

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٧٣٤) .

عبادات يتذكر عندها العبد ويكون مستحضرًا للفقر وذل الحاجة إلى الله تعالى في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه ، وأن العبد ليس له ملجأ عند الكروب لتفريجها إلا الله تعالى ، ويلجأ لربه ليهديه الصراط المستقيم ، وأن يثيبه عليه إلى مماته ، والله تعالى يثيب على القليل بالكثير ، ولا يضيع للعبد عند ربه أي عمل صالح ؛ فهو سبحانه ﴿ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٠] .

تعظيم الشعائر من تقوى القلوب :

وكيف شكر الله لعبده على فعله الخيرات ، وثناؤه سبحانه لعبده الطائع الذي حببت إليه القربات والطاعات : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨] .

إياك وكتمان علمًا من هذه العلوم التي تُقرب إلى الله تعالى ، فإنه من سئل عن علم فكتمه ؛ ألجم يوم القيامة بلجام من نار ، وهذه الآيات دفعت الصحابة إلى التحديث عن رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩-١٦٢] .

❧ ومن مظاهر توبة التائب أن يستتبع التوبة بعمل صالح ويصلح ما أفسد .

الله سبحانه واحد أحد فرد صمد ، لا شريك له ولا عديل له ، بل هو فرد صمد ، متفرد بالألوهية والربوبية ، وفي أسمائه وصفاته : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٣] .

❧ العبد يحتاج دومًا أن ينظر في آيات الله الكونية الدالة على توحيده وعلى تفرده بالربوبية ، فعبادة التفكر ينبغي أن تأخذ جانبًا أوفر من ذلك ؛ حتى يتمكن الإيمان من القلب : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، فهذه الآيات دلالات بينة على وحدانية الله تعالى ، ولقد أقام الله هذه الآيات الدالة على توحيده ؛ لكي نتفكر فيها : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠-١٩١] .

❧ من مظهر محبة العبد لربه سبحانه : توحيده ، وعبادته وحده ، وتوكله عليه ، ولجوءه إليه في جميع أموره ؛ لعلمه أن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ، ومن الظلم أن نسوي بين الله الخالق وبين الأوثان التي لم تخلق شيئًا : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ

حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، هؤلاء الذين أشركوا بربهم ليقولون يوم القيامة : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٧-٩٨] .

أهل الباطل يتنصل بعضهم من بعض يوم القيامة ، فلا تغتر بصورة اجتماعهم فإن قلوبهم متفرقة ، وأنهم يتبرءون من أتباعهم يوم القيامة فلا تغتر بوعودهم البراقة فإنها ليست إلا سراب ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر : ١٤] ، ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٦-١٦٧] ، هيهات .. هيهات .. فقد حذركم الله من يوم الحسرة : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم : ٣٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

الإنسان مطالب بأن يطيب المطعم والمشرب ، ولابد أن يطمئن إلى طيب مطعمه ومشربه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٨-١٦٩] .

فاحذروا الشيطان !!

فكل معصية هي من خطوات الشيطان !!

الشيطان لا يأمر إلا بالفحشاء ويعدكم الفقر !!

فلقد أظهر الله تعالى لنا هذه العدواة البالغة البينة من الشيطان ؛ لينفر عنه ويحذر منه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] .

إياكم واتباع العادات وترك العبادات .

انظر بمن تقتدي به في أمر الدين .. واحذروا دين الآباء لو كانت مخالفة لشرع ربنا ، فالكل موزون بكتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠-١٧١] .

والعبد لابد له من اتباع :

إما أن يتبع الداعي إلى الخير .

وإما أن يتبع الداعي إلى الشر .

المؤمن حريص على أن يكون طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه من نفقة طيبة حلال ، فهو أبعد ما يكون عن الحرام ، فهو يعلم أن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، ويعلم أن الله لم يحرم علينا إلا الخبائث : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٢ – ١٧٣] .

❧ كان من رحمة الله على العباد أن يسر لهم ، ورخص لهم بعض المحظورات إن دعت إلى ذلك الضرورة ؛ إبقاءً على حياتهم : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

❧ إياك وتلبيس الحق على الناس ، وإياك وكتمانه من أجل متاع من الدنيا قليل - فاحذر من غضب الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة : ١٧٤- ١٧٦] .

❧ الإيمان ليس بالمظاهر ولكن بتلازم الظاهر والباطن ، بصدق العمل وبصدق الإيمان القلبي ، فلا فصل بين الظاهر والباطن ولا بين القول والفعل ، فالعبد المؤمن مأمور بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، فلا فصل بين أمر وآخر ، ولا بين نهي وآخر فالمؤمن ملازم لجميع أوامر الله سبحانه ، فهو غير متعد لحدود ما أنزل الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، فهذه

الآية اشتملت على كل خصال الخير تضمنًا ولزومًا ، من صدق الإيمان ، الإنفاق ، إتمام العبادات و الإلتزام بالسلوك والأخلاق ، فهذه صفات الذين صدقوا في إيمانهم ؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال ، وهم الذين اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات .

أمرنا الله بالعدل ، وأقام لنا القصاص ؛ حتى لا يتعدى أحد على أحد بغير وجه حق ، فكان اعتبار المساواة والمماثلة في مسألة القصاص ، ومع ذلك دعى الله وحرض القوم على العفو ، وبين سبحانه أن تشريع القصاص كان من أجل المحافظة على الحياة ، فالنفس تحتاج إلى ردع ؛ حتى يقيد جماح النفس ويلجمها ، فالإنسان يحتاج إلى التخويف ، فكان من عناية الله تعالى بالمؤمنين أن شرع لكم القصاص مبينًا أن تطبيق الأحكام فيه الحياة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة : ١٧٨-١٧٩] ، فشرع القصاص لكم - وهو قتل القاتل - حكمة عظيمة وهي بقاء المهج وصونها ؛ لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل إنزجر عن صنيعه ، فكان في ذلك حياة للنفوس .

الوصية مشروعة ، ولكن بلا جور وهذا يتطلب من الإنسان قبل أن يوصي أن ينظر إلى الحدود الشرعية ؛ حتى لا يجور ولا يتعدى حدود ما شرعه الله لنا في الوصايا ، وعلى من رأى جور من الموصي أن يعدله بالصورة التي تضمن العدل وعدم الجور ، ففيها تحذير للموصي أن يتعدى حدود ما أنزل الله وما شرع

لعباده : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٨٠-١٨٢] ، ولقد قال النبي ﷺ مبينًا حدود ما يوصي به الموصي من ماله بعد موته : « **الثلث – والثلث كثير** » ، وكذا قال ﷺ : « **لا وصية لوارث** » ، فالمطلوب إن أوصى لأقاربه ألا يجحف بورثته من غير إسراف ولا تقتير .

أمرنا الله تعالى بعبادات هي وسائل لتحقيق العبد للعبودية التي خُلق من أجلها ، وسبيل العبد للحصول على التقوى التي هي هدف منشود ؛ لأنها الموصلة إلى الجنة ـ دار السلام ـ ، وهذه العبادات من شأنها تزكية النفوس وتطهيرها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة ، ولذا قال النبي ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ؛ فإنه له وجاء** » [1] ، فالصيام من أكبر أسباب التقوى ، والمقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات وفطمها عن المألوفات ، حيث أنه في الصوم تترك محبوبات النفس وتلذذاتها ؛ إيثارًا لمحبة الله ومرضاته ـ فالصوم من أكبر العون على التقوى ، ويكفي في ذلك قول النبي ﷺ : « **الصوم جنة** » ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ

(١) البخاري .

مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣-١٨٤] .

ثم كان من يسر الشريعة ، ورحمة الله تعالى أن كانت الرخص ؛ ففيها بيان لنعم الله وفضله ومنّه على هذه الأمة ، أن رفع عنهم الأغلال التي كانت في أعناق الأمم السابقة : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة : ٦] ، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

الأزمنة والأمكنة تتفاضل وكان من ذلك أن فضّل الله شهر رمضان بما أنزل فيه من الهدى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، فالقرآن كتاب هداية وإرشاد وبيان ، لا سبيل للإنسان في سيره في طريق ربه المستقيم إلا بهداية القرآن .

إذا انصرف الإنسان من عبادة فيلزمه أن يواصل على عبادة ربه تعالى ولا ينقطع عنها ، فالعبادة موصولة فما انصرف العبد من عبادة إلا إلى عبادة أخرى .

فلتنتبه !!

فلتنتبه لمواصلة ذكر بك تعالى عند انقضاء العبادة ، فالذكر هو العبادة الرابطة بين العبادات ، خاصة في الفواصل بين العبادات ، ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ

مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠] ، ﴿ حَٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] ، ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج : ٣٧] ، ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ [ق : ٣٩-٤٠] .

الدعاء هو العبادة :

استجابة الرب سبحانه للعبد متوقفة على الدعاء وإخلاص الدعاء لله تعالى ، ولتعلم أن الذي تدعوه قريب مجيب ، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، وقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] ، فالدعاء دبر العبادات أرجى للقبول .

التحذير من تعدي الإنسان لحدود ربه فإنها حدود مرسومة لا ينبغي أن يتعداها العبد ، واحذر أن تخرج العبادة عن رسمها ، وإياك أن تتجاوز الحد المرسوم : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ

ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٧] ، فسبيل العبد للتقوى أن يقف حيث وقف القوم ـ سلفك الصالح ـ مع حدود ما أنزل الله تعالى ولا يتعداها .

المرأة سكن للرجل والرجل سكن للمرأة :

فكل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه ، فكان من رحمة الله بعباده أن رخص للرجل أن يباشر امرأته في ليالي رمضان بعدما كان ممنوعًا في نهار رمضان ؛ لعلمه سبحانه بحاجة الرجل إلى ذلك وحاجة المرأة إلى ذلك :

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

حرمة أكل المال بالباطل ، وحرمة الرشوة :

فاحذر من المال الحرام فإنه وبال في الدنيا والآخرة : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٨] .

كان من رحمة الله تعالى أن جعل لنا مواقيت لمنافع الناس ، وكذلك للعبادات ، وأن السبيل إلى الفلاح التقوى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

دواء العي السؤال ـ فإذا أشكل على العبد شيئًا فعليه أن يسأل .

ينبغي للمسلم أن ينتصب للدفاع عن دين الله تعالى ، ومهمة المسلم الذب عن دين الله تعالى ؛ حتى لا يعبد إلا الله ويكون الدين كله لله ، وينبغي على المسلم أن يسعى في إزالة الشرك عن وجه الأرض ، فلا يعبد إلا الله سبحانه دون سواه ، فلا تقر عين المسلم إلا عندما يرى أن الخلائق ساجدة خاضعة لربها .

وإعزاز الدين يكون بتقديم النفس والمال فداء للدين ، لذا فالجهاد فريضة كتبها الله علينا ، ومن مقاصد الجهاد في سبيل الله إزالة الفتنة ـ الكفر ـ : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة : ١٩٠ – ١٩٣] .

لقد نهانا الله تعالى عن أن نستوفي أكثر من الحق في مسألة المظالم ، فإن كان ولابد فلا ينبغي أن تتعدى مقدار العقوبة التي وقعت عليك ، وخير لك الصبر والعفو والصفح : ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[البقرة : ١٩٤] .

معية الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى والإحسان : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[البقرة : ١٩٤] .

الإنسان يسعى لكي يشتري الجنة بماله ، وأن من صفات أهل الإحسان عدم الضن بالمال ، ولكن يتخير كل سبيل من سبل الخير ليضع فيه المال ، وإمساك المال يورد الإنسان موارد الهلكة .

والإحسان سبب جالب لمحبة الله تعالى ، فلتسعى أيها العبد الطائع أن تكون من المحسنين : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

الشعائر التعبدية ينبغي على العبد أن يتمها على خير وجه ، ولتنظر إلى آثار هذه الشعائر التعبدية في تزكية النفوس فهي من أهم وأعظم عناصر تربية النفس : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] .

ما شرعت العبادات إلا لتزكية النفوس ، والعبادات لا تعتبر إلا بوقتها ، وعمل العبد لا يضيع عند الله تعالى ، وخير ما يتبلغ به الإنسان في سفره زاد التقوى ، وهي زاد المتقين ، وعلى العبد أن يراقب ربه في كل ما يصدر منه : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

لما نهاهم الله تعالى عن إتيان القبيح قولًا وفعلًا ، حثهم على فعل الجميل وأخبرهم أنه عالم به وسيجزيهم عليه أوفر جزاء يوم القيامة ، وإياكم أن ترغبوا عن زاد الآخرة ، فخير ما تزودتم به التقوى فلا تنشغلوا بزاد الدنيا عن طلب زاد الآخرة فإن السفر طويل .

لا تنس ذكر الله :

فعلى العبد أن يواظب على ذكر ربه تعالى خاصة دبر العبادات : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [البقرة : ١٩٨] .

الاستغفار حالة تلازم العبد المؤمن خاصة بعد الانتهاء من العبادة ؛ مخافة التقصير : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٩] .

شكر الله على النعم يتمثل في عدم فتور العبد عن ذكر ربه ولا ينشغل بالدنيا عن طلب الآخرة : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [البقرة : ٢٠٠-٢٠٢] .

دعوة جمعت كل خير في الدنيا وصرفت كل شر بالإضافة إلى خير الآخرة ، وحسنة الدنيا تشمل كل مرغوب دنيوي من : (عافية ، أو مال ، أو

زوجة حسنة ، أو بيت واسع) ، وحسنة الآخرة : (أعلاها رضوان الله ، ودخول الجنة ، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات ، تيسير الحساب ، النجاة من النيران) ، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة : ٢٠١ - ٢٠٢] .

ذكر الله تعالى من أجل العبادات وهو القاسم المشترك مع كل عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه سبحانه .

فالذكر هو خير أعمالنا وأزكاها عند مليكنا وأرفعها في درجاتنا .

وأن هناك أيام وطاعات حث الله على الإكثار من ذكره فيها خاصة عند قيام الإنسان بشعيرة الحج إلى بيت الله الحرام .

وكان من إفضال الله وإنعامه علينا أنه يخفف عن عباده ما يكون فيه مشقة عليهم فشريعة الله هي شريعة اليسر والرحمة وشريعة رفع الحرج .

وعليكم أن تلزموا التقوى في كل أعمالكم وأحوالكم وتتذكروا أنكم محشورون إلى ربكم لتزدادوا من فعل الطاعات والقربات فهي زادكم عند ربكم ، ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] .

إياك والاغترار بمعسول القول قبل أن تمرره على كتاب ربك وسنة رسوله ﷺ ، فاحذر من فصاحة وبيان الرجل إذا لم يكن من أهل الإيمان والإخلاص ، فالجأوا إلى ربكم يكفيكم مكر هؤلاء فهو المطلع سبحانه على ما في

قلوب العباد ، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾[البقرة : ٢٠٤-٢٠٥] .

احذر أن تكون ممن يتكبر ويتعالى عن قبول النصيحة ، فهذه من صفات المنافقين ، فاحذر أن تتشبه بالمنافقين في ذلك ، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[البقرة : ٢٠٦] ، علامة ذلك أنه إذا وعظ فإنه يأبى ويستكبر وتأخذه الحمية والغضب بالإثم كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ ﴾[الحج : ٧٢] .

المؤمن يبيع ويشتري مع ربه ، وعلامة بيع المؤمن مع ربه تراها في تحريه للعمل الصالح ، وقول الحق ، والإخلاص في الأعمال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[البقرة : ٢٠٧] ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾[التوبة : ١١١] .

ينبغي أن يدخل المسلم في الإسلام دخولًا شموليًا ، وليحذر من أن يتخير من بين شرائع هذا الدين ما يتناسب مع حاله ، ويترك ما لا يتناسب ؛ كما لعب الشيطان على الأمم السابقة فدفعهم أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، فالمطلوب قبول شرائع الدين جملة وتفصيلًا ، ولا نفرق بين أحكام الشرع ، والتحذير من اتباع أوامر الشيطان : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى

ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨-٢٠٩] .

فعليك أيها المسلم أن تأخذ بجميع عرى الإسلام وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ، وإياك والعدول عن الحق بعدما قامت عليك الحجج ، فاعلم أن الله عزيز لا يفوته هارب ، حكيم في أحكامه وفي قدره وشرعه ، فالمؤمن إن زلت قدمه أسرع في العودة والإنابة إلى ربه تعالى .

الآخرة لابد أن توضع نصب عين المؤمن ، وأن الدنيا إلى انقضاء ، وأن الهم الأكبر للمؤمن هو قيام الساعة حيث الحساب والمرجع والمآب والمعاد ، ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ، فالمؤمن مطمئن بربه ، وأن الأمور كلها ترجع إلى الله تعالى ، فهو مطمئن أنه لا يبخس شيئًا ، وأن المظالم سترد لا محالة .

ونقول للغافلين :

ماذا تنتظرون أن يُفعل بكم لعنادكم ومخالفتكم في الامتثال لما أمرتم به ، والانتهاء عما نهيتم عنه بعد طول الحلم عليكم .

التحذير من كفر النعم لما يترتب عليه من العذاب الأليم والعقوبة ، وإياك أن تكون من أبناء الدنيا الذين غرتهم الحياة ؛ فدفعتهم للسخرية والاستهزاء والتنقص من أبناء الآخرة ، فالعبرة بالخواتيم : ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المطففين : ٣٤-٣٦] .

وانظر إلى طغيان بني إسرائيل وجحودهم للحق بعد وضوح الآيات ، فكم من آيات يشاهدونها دالة على وحدانية الله تعالى ، وبعدها أعرضوا بل وبدلوا نعمة الله كفرًا : ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة : ٢١١-٢١٢] ، فاحذر من زينة الدنيا وزهرة الدنيا ؛ فإنها لفتنة أهل الضلال والزيغ والفجور : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٩٦-١٩٧] .

وانظر كيف انقلبت السخرية إلى بكاء وعويل يوم القيامة : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۝ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٩-١١١] ، فالدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وقال النبي ﷺ : « **ألهاكم التكاثر حتى يقول العبد مالي مالي إنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهب ، وتاركه للناس** » [١].

مهمة رسل الله وكذا الدعاة لدين الله البشارة والنذارة ، وإرسال الرسل هي رحمة من الله تعالى بعباده ، وسبيل الهداية هو الإيمان ، وإن الهداية والإضلال بيد الله وحده دون سواه .

---

(١) مسلم .

واحذر من البغي والحسد فهو سبب الشقاق والاختلاف : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[البقرة : ٢١٣] .

انظر إلى التطبيق العملي :

فكان النبي ﷺ إذا قام من الليل يصلي كان يقول : « **اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** »[1] .

لا نعيم إلا بمجاوزة طريق الابتلاء ـ فالجنة محفوفة بالمكاره ـ ، فطريق الجنة محفوف بالمكاره والابتلاءات ، وهذه سنن كونية وسنن الله جارية على خلقه لا تتبدل : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[البقرة : ٢١٤] .

احرص أيها المسلم أن تسأل عما ينفعك في أخرتك ، واحرص على أن تتعلم ما هي الطاعات التي تقرب إلى الله ، وما مرسوم هذه الطاعات وما هي أفضل الصور التي تؤدي بها الطاعة ؛ فالله لا تضيع عنده الأعمال ، ويجازي العباد

---

(١) مسلم .

عليها : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

المسلم مطالب بإقامة الدين ورفع راية الجهاد ؛ لكي يكف شر الأعداء عن حوزة الإسلام ، فالإنسان يجهل ما ينفعه وما في مصلحته ـ ويجهل كذلك العاقبة ـ فلتركن أيها العبد إلى اللطيف الحكيم ، إلى العليم الخبير ، وطبع الإنسان ينفر من الجهاد مخافة أن يهلك لحبه للحياة والدعة ، فالإنسان بطبعه يقدم النعيم العاجل حتى ولو كان زائلًا ، على النعيم الآجل حتى ولو كان باقيًا ؛ وذلك لجهله ولظلمه لنفسه ولجهله بالعواقب .

فلنعلم أن الله تعالى أقدر على مصلحة العبد منه فلا يسع العبد إلا التسليم المطلق لأوامر ربه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

المطلوب الحكم بالعدل والإنصاف : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

أتدري ما بغية الكفار وما هدفهم الأسمى الذي لا يبخلون أن يصلوا إليه بأي وسيلة وبأي طريقة ؟ إن هدفهم معلن « إخراج المسلم عن دينه » : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

- احذر الكفر بعد الإيمان ففيه خسران الدنيا قبل الآخرة ، ولكن عليك أن تهاجر إلى ربك ، وتجاهد في سبيله حتى يأتيك اليقين : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة : ٢١٧-٢١٨] .

- الابتعاد عن كل ما يشغل عن الصلاة ويلهي عنها ، والله تعالى حرم علينا الخمر ؛ لما ينشأ بسببها من عداوة وبغضاء ، وينبغي للمؤمن أن يمتثل لأوامر ربه وينتهي - على الفور - عما نهانا عنه والحكم دائمًا للغالب .

- ومن صفات المؤمن أنه يهتم بأمر دينه ويسعى للتعلم ؛ حتى يكون على بينة من أمره : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [البقرة : ٢١٩-٢٢٠] .

- والتحذير من أن يضمر الإنسان في نفسه باطلًا فالله تعالى مطلع على ما في داخل وباطن الإنسان فاحذروه : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .

والله تعالى قد فصل لنا الآيات والأحكام وبينها لنا ولا يتفكر فيها إلا المؤمن ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء ، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء .

البحث عن الصحبة المؤمنة ؛ فإنها تعين الإنسان على أمري الدنيا والآخرة ، وبيان لوجوب موالاة أهل الإيمان ومخالطتهم ومعاداة أهل الكفر والضلال ، والتحذير من مخالطة أهل الزيغ والبدع فلتتخير الجليس : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

الله تعالى أرشد العباد إلى ما فيه مصلحتهم وحفظهم وصيانتهم فالله تعالى هو الخالق ، وهو أعلم بما يصلحهم وما يفسدهم ، والله تعالى جعل فرجة من أمر شُدد على الأمم السابقة ، ولذا أرشد الله العباد أن يتزودوا من زاد التقوى ويدخروا من الأعمال الصالحة التي تنفعهم في الآخرة ، فالله تعالى مجازيهم ومحاسبهم على أعمالهم .

والعبد لا يغفل عن مقامه بين يدي ربه سبحانه يوم القيامة فذلك أدعى لاستدعاء واستحضار المراقبة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢-٢٢٣] .

فالمؤمن يبشر برحمة الله ورضوان : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٧] .

إياكم وأن تمتنعوا من فعل الخير وتقسمون بالله على عدم فعل الخير – فالله أمرنا بفعل الخيرات ، فعجبًا لمن يقسم بالله على عدم فعلها ، بل ينبغي على العبد أن يستكثر من فعل الطاعات والدافع لذلك هو رؤية العبد للآخرة : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٤–٢٢٥]، ولذا قال النبي ﷺ : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فتركها كفارتها » [١] ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢]، فمن رحمة الله تعالى أنه لا يعاقبنا ولا يلزمنا بما صدر منا من الأيمان اللاغية ـ وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد ولا تأكيد ـ فالاعتبار بالمقاصد في الأقوال والأفعال .

لا يجوز للإنسان أن يستخدم سلطانه بصورة خاطئة وإلا لابد من رده ، وإن سيادة الشريعة هي الحاكمة ؛ لأن سلطان الإنسان مقيد وليس سلطانه بالسلطان المطلق : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٦–٢٢٧]، من رحمة الله تعالى أن جعل لنا سبيلًا إن وقع الفراق بين الزوجين حيث ضرب لنا مدة نستطيع من خلالها المراجعة والإصلاح ويسكن فيها الغضب .

---

(١) متفق عليه .

❧ والمرأة أمينة ـ وأن الدافع لعدم المخالفة هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، ولا يحل للرجل أن يراجع امرأته بعد تطليقها إلا من باب الإصلاح ، وليس من باب التعنت ، وأن حق المرأة على الرجل كحق الرجل على المرأة ، فليؤد كل منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف ، إلا أن الرجل يفضل عليها بما منح بطابع الخلقة : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[النساء : ٣٤] ، ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[البقرة : ٢٢٨] .

❧ المسلم لا يتصرف إلا تصرف العبد حتى في مسألة الخصومات والمشاحنات ، فالإحسان خلق المسلم الذي لا ينفك عنه حتى في أحلك الظروف وعند المصائب : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

المرأة إن خافت على نفسها الفتنة فوجدت أن قلبها بغض زوجها ؛ فخافت على نفسها أنها لا تستطيع القيام بحقه ـ فلها أن تطلب الخلع منه ، على أساس أن تقوم بالتنازل عما دفعه لها من مهر ، سواء تصالحا على المهر كله أو على جزء منه ، فلا حرج لا على الرجل في القبول ولا على المرأة في الدفع : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾[البقرة : ٢٢٩] ، ولكن حذار أن يحملها الرجل أن تختلع منه ليذهب بمهرها أو بجزء منه .

فالمسلم غير متعدي لحدود ربه وحدود ما شرعه لنا سبحانه ، وأنه يخشى إن تعدى حدود الله تعالى أن يتعرض لسخطه وعقابه ، فمن الظلم أن يتعدى الإنسان الحدود المرسومة : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

من فضل العلم أن العلماء هم الذين يقفون عند حدود ربهم : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٠] ، فعند الطلاق إما أن يفارقها بإحسان ولا يظلمها من حقها شيئًا ولا يضار بها ، وإن أراد أن يرجعها إلى عصمته مرة أخرى فلا يكون قد انتوى من خلال ذلك إلحاق المضرة بها ، ولكن لم يراجعها إلا من جهة الإصلاح .

إياكم والتلاعب بأوامر الله ،وارتكاب محاذيره ، فلتحذروا من سخط الله أن نتهاون بأوامر الله أو نواهيه : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

المسلم متذكر دومًا لنعم ربه ، خاصة لهذه الرسالة التي أرسلها سبحانه على رسوله المصطفى الكريم ؛ لدعوة الناس إلى الحق ، ولإخراجهم من الظلمات إلى النور : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣١] .

تحذير لأولياء المرأة أن يقوموا بإعضالها ، فإن كانت المرأة لا تزوج إلا بإذن الولي فليعلم الولي أنه ليس له إعضال المرأة على أن تعود لزوجها بعدما فارقها وبانت منه ، ثم تراءيا أن يعودا إلى حياتهما مرة ثانية ، فإياك واستعمال السلطان التي منحك بصورة خاطئة ، أو تتعدى به الحدود .

فإياك والتعنت في استخدام الحق : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٢] .

إرشاد وتنبيه من الله تعالى للوالدين عن فترة الرضاع المعتبر للمولود وكمالها سنتين فلا اعتبار للرضاعة بعد ذلك ، والشارع راعى مصلحة هذا الصبي فلا حاجة إلى تضييعها خاصة في حال الفراق بين الزوجين ، فلا عناد ولا تعنت بين الطرفين بما تضيع معه حقوق هذا الصبي : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، فمن رحمة الله بعباده أن ألزم الوالدين أن ينظرا في أمر الصغير ، حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما ، وأرشدهما إلى ما يصلحهما ويصلحه ، ونبه على أخذ الاحتياط للطفل .

- وجوب الإحداد على المرأة التي توفي عنها زوجها ، سواء كان قد بنى بها أو لم يبن بها ؛ لعظم حق الزوج على زوجته ، وأوجب الشارع هذه العدة متمثلة في مدة ليس لها تعلق كعدة الطلاق ، حيث أن عدة الطلاق متمثلة في صفات معينة ـ عدد معين من الحيضات ، أو بمدة زمنية إن لم تكن من أهل الحيض ـ ، أما هنا فالعدة متمثلة في أربعة أشهر وعشرة أيام .

وليس كل حكم ينبغي أن يظهر لنا علته أو حكمته ، ولكن وجب على المسلم الأمتثال سواء علم العلة أم لم يعلمها سواء ظهرت له الحكمة أم لم تظهر ، ولم يؤمر بالتنقيب عن علة الحكم أو حكمته ، ولكنه ما أؤمر إلا بالانقياد والتسليم : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[البقرة : ٢٣٤] ، ولقد قال النبي ﷺ : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ، إبلا المرأة على زوجها ؛ أربعة أشهر وعشرًا** » [(١)] .

- راعت الشريعة ما جبل عليه الإنسان فجعلت مخرجًا من الأمور التي لا يستطيع الإنسان ولا يطيق أن يتحملها منها : إن وقعت امرأة في نفسه على أن يتزوجها ولكن المانع العدة فلا حرج أن يُعرض لها بالخطبة قبل انتهاء عدتها ؛ ولكن لا يجوز التصريح بذلك لها ، هذا إن كانت المرأة في عدة وفاة أو عدة طلاق من طلقة بائنة .

---

(١) متفق عليه .

وراعى الشارع ما ركب عليه الإنسان من الميل للمرأة ولكن أوجب علينا مراقبة الله في السر والعلن ، حتى في الشعور والأمور الباطنة ؛ حتى نتقي الأسباب التي تفضي بالعبد إلى فعل المحرم ، ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]، وقال سبحانه : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص : ٦٩].

إثبات الحقوق ولابد من أدائها والدافع لامتثال الإنسان لذلك ، وأدائه للحقوق هو خلق الإحسان ، وهذا سبيله للعدل والقسط والإنصاف من النفس : ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٦].

الدعوة إلى خلق العفو والصفح خاصة في الأحوال التي نادرًا ما يتعامل فيها الخلق بهذا الخلق ، فالطلاق مدعاة للخصومة والمقاطعة والمشاحنة والسب والتقابح ، وسبيل الإنسان لتهذيب النفس التقوى ؛ حتى تكون المسابقة لكلا الطرفين ، وحرص كل من الطرفين أن يسبق بهذا الخلق : ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦]، ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٧].

الدافع لفعل الإنسان وامتثاله لأوامر ربه استدامة الذكر فهو بمثابة المحرك إلى التنفيذ والامتثال ، وخير معين على ذلك الأدوات التي أرشد الله إليها ومنها : الصلاة ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة : ٢٤] .

فمن علامات الإيمان والتقوى : محافظة الإنسان على الطاعة التي ألزمنا الله تعالى إياها ، وأن تؤدي بمرسومها وفي أوقاتها المحددة لها : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨-٢٣٩] .

الناسخ والمنسوخ :

هناك أحكام شرعها الله لنا تم العمل بها إلا ما شاء الله ، ثم أنزل الله حكمًا ناسخًا لها مع إبقاء التعبد بها تلاوة - من ذلك : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٤٠] .

من الحق المثبت للمطلقة نفقة المتعة - وهي حقوق سبيل الإنسان لالتزامها التقوى : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤١] .

تذكر فضل الله علينا ، وأنه سبحانه لم يتركنا هملًا ولكنه سبحانه أمرنا ونهانا ، وبين لنا بفضله وإحسانه وإنعامه ورحمته حدود الأوامر والنواهي ، ووضح وجلى لنا الأحكام ؛ حتى نكون على بينة من هذا الأمر : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٢]

اعلم أيها العبد !!

إنما أمره سبحانه إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ، فمن رحمة الله تعالى بنا أن أقام لنا آيات باهرة ودلائل واضحة قاطعة دامغة على أنه لن يغني حذر من قدر ، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، فالحذر لا يغني من القدر ـ ومن ذلك أن الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلًا ولا يبعده ، بل الأجل المحتوم ، والرزق المقسوم مقدر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص منه ، فالموت الذي تفرون منه إنه ملاقيكم ، ومع ذلك أكثر الناس مع رؤيتهم لهذه الدلالات والبراهين القاطعة ، ومع ذلك فإنهم لا يقومون بشكر ربهم على ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٣] .

فعليك أن تقوم بنصرة دين الله تعالى والذب عن دين الله ، ولا تضن بمالك ولا بنفسك عن نصرة هذا الدين : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة : ٢٤٤] .

الله تعالى حث العباد على النفقة واستقرض الناس ـ فما بالكم بقرض الله تعالى يقوم برده على المقترض ، فبأي صورة يكون ذلك العوض ، فإن كان المال من الله ابتداءً وليس بحول الإنسان ولا بقوته كما قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [المنافقون : ٧] ، ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ، ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [ ] ، فإياك أن تكون كقارون لما قال : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ

قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص : ٧٨] .

والدافع لمزيد من النفقة صحة عقيدة الإنسان بأن الله تعالى هو القابض الباسط ، فمنه الابتداء وإليه الانتهاء ، فلو صحت العقيدة لنفض الإنسان يديه من كل ما يملك في مقابل الحصول على رضا ربه سبحانه فالمعنى : « فانفقوا ولا تبالوا ؛ فالله الرزاق ذو القوة المتين » : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

تحذير من أن نتشبه ببني إسرائيل في إعراضهم عن أوامر ربهم خاصة إقامة الجهاد ؛ من أجل نصرة دين الله والذب عن هذا الدين : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٦] .

قد يكون سبب الإعراض هو أن الإنسان لم يُعرف الطلب بالصورة المرسومة عنده وكأن الله تعالى ينبغي أن يوفيه مقصده بالصورة المرسومة عنده ، ولكن ينبغي أن نعلم أن الله سبحانه له أن يتصرف في ملكه كيفما شاء ؛ فإنه سبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون ، كذلك ينبغي التسليم لأوامره وأحكامه وأفعاله فكلها مبنية على حكمة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، والله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟

أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

احذر من الاعتراض على أوامر ربك أن يكون لك وجهة نظر في هذا الأمر حتى لا تكون شبيهًا بإبليس ؛ فإنه عندما طلب الله منه السجود لآدم أبى واستكبر وقال : أنا خير منه ـ فهؤلاء قالوا : ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

فضل العلم وشرف العلم على المال :

قال تعالى : ﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

مقاليد الأمور بيد الملك العزيز الوهاب :

وقد يبعث الله تعالى بآيات تسكن إليها النفوس وتطمئن بها القلوب ويربط الله من خلالها على قلوب عباده المؤمنين .

فالله سبحانه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك عمن يشاء ويثبت ملك من يشاء لنعلم أن الأمور بيد الله دون سواه .

ولقد ثبّت الله ملك طالوت الذي أختاره كملك على بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وأيد الله ملكه بآيات يعرف من خلالها أنه مؤيد من قبل الله تعالى .

وسخر الله له ملائكته ليأتون له بالآيات التي يثبت بها ملكه ويعلم قومه أنه مؤيد من ربهم سبحانه فينقادوا له ، ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن

يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] .

الحكمة من الاختبار والابتلاء ...تطهير الصف :

فالابتلاء مخلص من الشوائب التي تكون بمثابة عوائق على طريق النصر ، كما قال سبحانه : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٧] ، قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، لا يثبت في الصف إلا من ثبت الإيمان في قلبه خاصة الإيمان بالله واليوم الآخر ـ وانظر إلى عاقبة الصبر والإيمان .

انظر إلى ثقة المؤمن بنصر ربه سبحانه ، وأن الأمر ليس مبناه على القلة والكثرة ولا العتاد ، ولكن على الإخلاص والتجريد :﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

سبيلك لتأييد الله ونصره لك بمزيد من الطاعات وملازمة الذكر والدعاء والإقلاع عن المعاصي والآثام ، وصدق اللجوء والتوكل على الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٠] .

☜ ولتعلم أيها العبد !!

وما النصر إلا من عند الله ـ ولكن إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

☜ عليك بقراءة السنن الكونية ، قراءة واعية ، والتعرف كذلك على سنة التدافع وهذه المعركة الدائرة المستديمة بين الحق والباطل والكفر والإيمان : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

☜ إثبات نبوة النبي محمد ﷺ وأنه مرسل مبعوث من قبل الله ، وأيده سبحانه بالآيات الدالة على صدق نبوته : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٢] .

☜ الله تعالى يصطفي من رسله من يشاء ويفضل سبحانه بعضهم على بعض ؛ فهو المتصرف في ملكه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وقد يمن الله على بعض خلقه دون البعض ؛ لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

☜ قضاء الله وقدره نافذ ، فمشيئته سبحانه نافذة ، وقدرته تامة مطلقة ، ولا يكون في ملك الله إلا ما يشاء : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

احذر من الغفلة ، فأين تذهب بهذا المال من بعد الموت والفناء ؟ فقم بإنفاقه حال حياتك في طاعة ربك ، أو فيما يستجلب لك الخير عند ربك يوم القيامة حيث لا صاحب ولا خليل ولا صديق ، ولكن صاحبك وخليلك وصديقك عملك الذي أديت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، فهذه الآية دالة على حسن المسارعة إلى الخيرات قبل فواتها ؛ بهجوم ما يخشى معه الفوت من موت أو غيره .

أعظم آية في القرآن ، فلتعض عليها بالنواجذ ، ولتقبض عليها بكلتا يديك ولا تدعها تتفلت منك ، فإنها الآية الجامعة لأصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة ، هي الآية التي من قرأها إذا آوى إلى فراشه لا يقربه الشيطان حتى يصبح .

وهي الآية التي اشتملت على اسم الله الأعظم الذي إذا دعي بها أجاب ، وإذا سأل به أعطى ، وهي التي تحفظ من قرأها في أول النهار وأول الليل : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

فهذه الآية اشتملت على جملة من العلوم ما ينبغي للمسلم أن يغفل عنها ، بل ينبغي أن تطبع في قلبه ، فالله تعالى أخبرنا في هذه الآية أنه منفرد سبحانه بالإلهية لجميع خلقه ، وهو حي في نفسه لا يموت أبدًا ـ قيم لغيره ، فالموجودات

مفتقرة إليه وهو غني عنها ، ولا قوام لها بدون أمره ، وهو سبحانه لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه ، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت ، شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية .

ومن تمام القيومية أنه سبحانه لا يعتريه نوم ولا سنة فإنه سبحانه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، وجميع المخلوقات عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه .

وهو من عظمته وجلاله وكبريائه ﷻ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه ، فإن إذن له في الشفاعة في هذا المشفوع شفع ، وقد أحاط كل شيء علمًا ، فأحاط علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وليس لأحد سبيل أن يطلع من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله سبحانه وأطلعه عليه ، وما السماوات السبع والأرضين السبع عند الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة .

ولا يثقله سبحانه ولا يكترثه حفظ السماوات والأرض ومن فيهما وما بينهما ، بل ذلك سهل عليه يسير لديه ؛ فهو القائم على كل نفس بما كسبت ، الرقيب على جميع الأشياء ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا يغيب عنه شيء ؛ فهو الغني الحميد الفعال لما يريد الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، القاهر لكل شيء ، الحسيب على كل شيء ، الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه الكبير المتعال .

فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، فمن هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته ، دخل هذا الدين على بينة ؛ لوضوح دلائله وجلائها ، وأنه لا إيمان صحيح إلا بالكفر بالطاغوت ـ وهو كل ما يعبد من دون الله تعالى وحده لا شريك له .

فلن يستقيم الإنسان على الإيمان ، ولا يثبت على دين الله تعالى ؛ إلا بخلع الأنداد والأوثان ، فكمال الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

سبيل العبد للهداية على طريق ربه سبحانه هو اتباع رضوانه ، فسبيل الولاية يكون بالإيمان والعمل الصالح ، وولاية الكفار للشيطان الذي يأخذ بهم إلى الظلمات ؛ ليكونوا من أصحاب السعير ، فالولاية عند الله لا تنال إلا بالإيمان والتقوى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

فالله قدير لا يعجزه شيء وهو المحي المميت سبحانه وأنه يبعث من في القبور ، والآيات الدالة على ذلك كثيرة يراها الإنسان دومًا ؛ ليتيقن إمكانية الإحياء بعد المات ، وأن الله على كل شيء قدير ، فالإنسان يرى من هذه المشاهد إحياء الله للأرض الميتة كيف تنبت وتخرج الزرع والثمار والحب .

ولقد أقام الله تعالى لنا البراهين على تفرده بالخلق والإيجاد ، وأنه واحد في ألوهيته كما هو واحد في ربوبيته ، فجميع الأدلة السمعية والعقلية والفطرية قد

قامت شاهدة بتوحيد الله تعالى ، معترفة بانفراده بالخلق والتدبير ، وأنه المحي المميت ، وأنه سبحانه يبعث من في القبور : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٨-٢٥٩] .

❧ احذر أن تشك في إبراهيم عليه السلام ؛ فإن إبراهيم عليه السلام لما سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ما كان هذا شكًا من إبراهيم عليه السلام في قدرة الله على إحياء الموتى ، ولكن ما أراد إلا أن يصل إلى درجة عين اليقين : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، فأزال الله هذه الشبهة عن إبراهيم ؛ حتى لا يظن الظان أن هذا شك من إبراهيم عليه السلام في قدرة الله على إحياء الموتى : ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

فأتت إجابة إبراهيم عليه السلام معلنًا أني آمنت بك وآمنت أنك على كل شيء قدير وأنك تحيي الموتى ـ ولكن ما أردت إلا أن أصل إلى درجة عين اليقين : ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة : ٦٠] ، فأجاب الله تعالى دعوته ؛ كرامة لإبراهيم عليه السلام فالله تعالى عزيز حكيم :

﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

يحتاج المرء دومًا أن تقرب إليه المفاهيم ؛ ليدرك المعنى المطلوب ، ليعينه ذلك على مزيد من العمل إن حصل له الفهم الصحيح ، ولذلك ضرب الله لذلك الأمثلة على ثواب النفقة لكي يحرض القوم على الطاعات ، والنفقة في سبيله مع بيان لهم كيف ينمى العمل الصالح : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

الإنسان إن فعل طاعة يحذر أن يأتي بما يبطلها فقد نهانا الله تعالى عن إبطال الأعمال والطاعات ، وأن شر ما يبطل به العمل الرياء والسمعة أو إلحاق الإيذاء بمن فعلنا معه معروفًا ، فعليك بتناس ما فعلت من إحسان وترك الاعتداد به والامتنان : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٦٢] .

أحب ما يتصدق به المرء عند الله تعالى هي الكلمة الطيبة ؛ فهي أحب إلى الله من النفقة التي يتبعها أذى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٣] .

ضرب الله مثلًا للمُنْفِقين لأموالهم ولكن لغير وجه الله ، والمُنْفقين لأموالهم ابتغاء مرضات الله فذكر الله تعالى أنه على المؤمن أن يكون أحرص ما

يكون على نفقته وعلى طاعته وألا يفسدها بالمن والأذى ، فكان التحذير من الرياء والسمعة والترغيب في الإخلاص : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٦٤ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٤ - ٢٦٥] .

ضرب الله مثلًا لمن يقوم بأداء عمل صالح ثم يتبعه بعمل يحبط ما قدم من الأعمال الطيبة ، فحاله كحال إنسان له أرض طيبة قام بزراعتها ، حتى إذا أثمرت أتتها ريح شديدة فأحرقت الثمار وأبادت الأشجار ، فهذا مثل من يعمل عملًا صالحًا ، ثم بعد ذلك انعكس سيره ؛ فبدل الحسنات سيئات ، فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه مما تقدم من الصالح : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] .

فنقول :

أيود أحدكم أن يكون بمثل هذا الحال ؟!

إذا أنفق العبد النفقة فلابد أن تكون أولًا من كسب طيب ويحذر أن يتصدق برديء المال ؛ فالله غني عنك وعن صدقتك ، واحذر من مدخل الشيطان

إليك من ذلك الجانب ، فإنه يتسلل ويتسرب خفية وفي الظلمة الحالكة إلى قلبك ؛ لكي يبث فيه الخوف من الفقر إذا أنت تصدقت .

فالشيطان لا يأمر إلا بالمنكر والفحشاء ، والله يأمر بما يعود عليك أولًا بالمصلحة ، فالله لا ينال شيئًا من نفقتك ولكنها تعود عليك بالنفع ، فالله يرشدك إلى ما ينفعك .

فالإنسان بين داعيين : « داعي الرحمن ، وداعي الشيطان » ، ومقتضى الإيمان الإنفاق من الجيد لاسيما ما يطلب به رضا الله تعالى وتثبيت النفس ، فشروط قبول النفقة : « من كسب طيب ـ في سبيل الله ـ في مرضاة الله ـ لا تتبع بالمن والأذى » : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٧-٢٦٨] .

خير عطية من الرب سبحانه أن يعطيك السداد والتوفيق في الأقوال والأعمال ، ولا ينتفع بالموعظة والتذكرة إلا من له لب وعقل ، ولتعلم أن ذلك كله من فضل الله يؤتيه من يشاء : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

لا ينتفع الله بصدقتك ولكن نفعها يعود عليك في الدنيا والآخرة ، فالصدقة سبيلك لكي تعتق رقبتك من النار ، وتزيل ما يكبلك من الذنوب والمعاصي ؛ فإنها ماحقة للذنوب والمعاصي : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن

نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٧٠-٢٧١] .

فكل ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات فالله ـ سبحانه ـ به عليم لا يعزب عنه سبحانه من ذلك شيئًا ، والله مجازيهم بأفعالهم : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] .

الهداية بيد الله سبحانه وحده يهدي من يشاء بلا أسباب ؛ فهو سبحانه الذي يلقي الهداية في قلب من يشاء له الهداية ، فما على الرسول إلا البلاغ المبين .

والنفقة مردودة لصاحبها مجزى بها لو أنفقها ابتغاء مرضات الله تعالى ، وكل خير يفعله الإنسان فهو مردود عليه ثواب هذه الأفعال ولا ينتقص من أجرها شيء : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ، وهذا كقول الله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

ونفقة العبد لا يسقط ثوابها حتى ولو وضعها في يد غير مستحقها ؛ إذا بذل الجهد ولكنه لم يوفق ؛ ولذا قال النبي ﷺ : « **قال رجل : لأتصدقن بصدقة . فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق ـ فأصبحوا يتحدثون : تصدق على سارق ! فقال : اللهم لك الحمد . لأتصدقن بصدقة . فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية ـ فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية ! فقال :**

اللهم لك الحمد على زانية ! لأتصدقن بصدقة . فخرج بصدقته فوضعها في يد غني ـ فأصبحوا يتحدثون : تصدق على غني ! فقال : اللهم لك الحمد ـ على سارق وعلى زانية وعلى غني . فأتي فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته ، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله »[1] .

حال الإنسان ينطبع على وجهه ويظهر ذلك أيضًا من فلتات اللسان ، ففي ذلك إشارة إلى إصلاح الباطن وبيان لفضيلة التعفف : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ ، وهذا كقول الله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ ، وكما قال النبي ﷺ : « إن أمتي يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من أثر الوضوء » .

« اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » .

المؤمن ينفق في سبيل الله في كل وقت من الأوقات ليلًا كان أو نهارًا ، سرًا كان أو جهارًا ؛ فهو يبحث عن مرضاة ربه سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

---

(١) البخاري .

احذر من المال الحرام :

واحذر من أن تطعم الحرام ـ فيكفيك في ذلك حال آكل الربا عند قيامه من القبر للقاء ربه ، فإنه لا يتمالك نفسه بل حاله حال المصروع الذي أصيب بمس الشيطان ، فهذا هو أثر المال الخبيث على مكتسبه ، أما المسلم فإنه وقاف عند حدود الشرع فمتى بلغه الشرع فإنه لا يتعداه : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

احذر من الحيل ، وإياك أن تتشبه باليهود ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا ، ولقد قال النبي ﷺ : « **لعن الله اليهود ؛ حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا أثمانها** » (١) ، ويكفيك في ترك الربا قول النبي ﷺ : « **لعن الله أكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه** » ، واحذر من نظر الرحمن إليك ؛ فلقد قال النبي ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » (٢) .

فلتعلم أن الربا ممحوق البركة فإن الله تعالى قد قضى ألا يستوي الخبيث والطيب ، وإياك وأن تعجب بكثرة الخبيث فكله إلى النار فيذهب الله بجميعه إلى

---

(١) البخاري .

(٢) مسلم .

جهنم ، فإن رأيته كثيرًا فإن عاقبته إلى قلة : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] .

لماذا يقبل الإنسان على المال الحرام ـ ما دوافع ذلك ؟

حب الإنسان للمال والدنيا ، عدم رضا الإنسان بما قسم الله له من الحلال ، ولا يكتفي بما شرع الله له من الكسب المباح ، فهو يسعى إلى أكل أموال الناس بالباطل بأنواع المكاسب الخبيثة ، فهو جحود لما عليه من النعمة ، ظلوم آثم .

الكرامة والعزة للمؤمن :

فمن أكبر الأسباب لاجتناب ما حرم الله تعالى من المكاسب الربوية : تكميل الإيمان وحقوقه ، خصوصًا المحافظة على الصلاة ، وإيتاء ما أوجب الله عليه من زكاة : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٧] .

فليكن شاغلك : السعي إلى رضا الله تعالى والبعد عن مساخطه ، ومن أشد ما يسخط الرب تعالى على عبده : أن يغذى من حرام ، وهذا الحرام الذي دخل في لحمه ودمه وعصبه ليس له سبيل أن يخرج إلا بالنار ، فاحذر من غضب الله تعالى بعد الإنذار ، فالله تعالى بفضله وإحسانه وإنعامه قد أوسع الحلال وأطابه فلا يلجئنكم إلى معصية ربكم فاقة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨-٢٧٩] .

من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة :

ولقد أوجب الله علينا إنذار المعسر ، واعلم أن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ، فالخير لك أيها العبد أن تتصدق مما رزقك الله حتى لو كان بإسقاط الدين عن المعسر : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

الدافع لفعل الطاعات ، والمحافظة والمواظبة عليها ، وترك المنكرات وما نهانا الله عنه : « عدم غياب العاقبة » ـ فإياك والغفلة عن يوم الحساب يوم المجازاة .

فتذكر زوال الدنيا وفناء ما فيها من الأموال وغيرها ، وإتيان الآخرة والرجوع إلى الله تعالى ، ومحاسبته لخلقه على ما عملوا ، ومجازاتهم إياهم بما كسبوا من خير وشر ، ويحذرهم العاقبة : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

عليك أيها المسلم أن تقوم برعاية المال وصيانته وحفظه من الضياع ، فالكتابة أحفظ لمقدارها وميقاتها ـ فإياك والاعتماد على الذاكرة ، ولكن لتجعل الكتابة ذاكرتك .

ولتعلم أن التقوى وسيلة لحصول العلم ، وبيان للحق من الباطل ، ولتعلم أن معاملات المسلم كعباداته ؛ ينبغي أن يكون مرسوم هذه المعاملات على ما شرع الله لنا ـ فالعبد عبد لربه في عبادته وكذلك في معاملاته : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ

وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ✽ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢-٢٨٣] .

إياك أن يغيب عن ذاكرتك ، أو عن عقلك ، أو يغفل قلبك عن إطلاع الله علينا ومراقبته سبحانه لنا في ظاهرنا وباطننا ؛ فهو المطلع سبحانه على سرنا وجهرنا ، بل ومطلع سبحانه على واردات القلوب : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

وانظر إلى رحمة ربك بعبده وستره على عبده ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى : « **يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ، فيقول له : هل تعرف كذا وكذا ؟ فيقول : رب أعرف مرتين ،**

حتى إذا بلغ ما شاء الله أن يبلغ قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم. قال : فيعطى صحيفة حسناته ـ أو كتابه بيمينه » (١) .

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الأشهاد : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[هود : ١٨] .

ثم نأتي إلى ختام السورة وهي إشارة إلى ختام اليوم ، وكذا حياة الإنسان ، فليختم لك بعد تقريرك لعقيدتك مقررًا أصول الإيمان ، وكذا ختام الحياة باللجوء إلى الله تعالى ، ويختم لك بالعبادة ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] .

وخير العبادة الدعاء ولتعلم أنما الأعمال بالخواتيم ـ ففيها بيان للتلازم اللصيق بين العقيدة والعبادة : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة : ٢٨٥-٢٨٦] .

ويكفيك قول النبي ﷺ في بيان لفضيلة خواتيم السورة ـ أنه قال ﷺ : **« من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه »** (٢) ، ويكفيك قوله ﷺ : **« كلمتان**

(١) متفق عليه .

(٢) البخاري .

خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان للرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »[1] ، وقال ﷺ : « من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله ؛ دخل الجنة » .

وختامًا نقول :

فنحن نؤمن بأن الله واحدٌ أحد ، فرد صمد ، لا إله غيره ولا رب سواه ، ونصدق بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من الله على عباده المرسلين والأنبياء ، ولا نفرق بين أحد منهم ، ونعلن بامتثال أوامره سبحانه واجتناب نواهيه ، ونحن لا نطمئن إلى أعمالنا ولكن نطلب من الله تعالى أن يتفضل علينا ويغفر لنا ويرحمنا ، ولا يكلفنا من الأعمال الشاقة ما لا طاقة لنا به ولا استطاعة لنا على تحمله ، فعليه سبحانه توكلنا وهو نعم المولى ونعم النصير .

فإياك أيها المؤمن أن تغفل عن دعاء قد أمّن الله عليه ـ فالله تعالى قال عند هذا الدعاء قد فعلت .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) البخاري .

سورة آل عمران

ﷺ افتتحت السورة باسم الله الأعظم ، فافتتحت السورة بتوحيد الله تعالى في ألهيته وأسمائه وصفاته ، فكان اختيار هذين الاسمين اللذين إليهما تعود كل الأسماء والصفات : ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[آل عمران : ١-٢] .

ﷺ الكتب السماوية كتب هداية وإرشاد للناس للحق ، وهي يصدق بعضها بعضًا ؛ لأنها منزلة من الحكيم الخبير ، ومن ذلك فقد أنزل الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ الكتاب الحق الذي لا ريب فيه .

وهذه الرسالات لاستنقاذ الناس من الضلالات والجهالات ، وقد بينت لهم طريق الجنة وطريق النار ـ طريق أهل السعادة وطريق أهل الشقاوة : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[آل عمران : ٣-٤] .

ﷺ التهديد والوعيد الشديد لكل من كذب بآيات الله وجحد بالحق وأنكره ، فإياك ثم إياك والاغترار بحلم الله تعالى ؛ فالله عزيز ذو انتقام ممن عصاه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[آل عمران : ٤] .

فاحذروا ..!

احذروا من انتقام ربكم ولا تغتروا بحلمه سبحانه وإمهاله لإنزال العذاب على من خالف أمره .

ﷺ يقين الإنسان أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهذا من تمام قيوميته سبحانه وأن

علمه محيط بالخلائق ؛ مما يدفع العبد أن يراقب ربه سبحانه في كل صغيره وكبيرة ، وفي كل قول وفعل وحركة وسكنة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[آل عمران : ٥] .

ﷺ اعتراف العبد أنه لا خالق إلا الله ، ولا مصور لما في الأرحام إلا الله ـ كل ذلك بمشيئته وقدرته ؛ فهو سبحانه خلق الخلق بلا معين على ذلك ، واعتراف العبد أنه لا يستحق الألوهية الحقة إلا الله تعالى ـ فلله العزة والحكمة البالغة ، مع بيان أن عيسى بن مريم عليه السلام مخلوق كسائر خلق الله ، احتوته أحشاء أمه ، وتنقل من طور إلى طور .

أفيصلح بعد ذلك أن يكون إلهًا ؟! لا إله إلا الله وتعالى سبحانه عما يشركون : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران : ٦] .

ﷺ الناس مع كتاب ربهم بين محرف لكلام الله تعالى وراسخ في العلم ، فاحذر المحرفين المجادلين في كتاب ربهم بغير علم ؛ فإنهم لا يبتغون بذلك إلا إضلال القوم ، فهم لسوء قصدهم يبتغون المتشابه منه ؛ لنصرة مذاهبهم الباطلة ، أما الراسخون في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا ، ويردون المتشابه إلى المحكم .

ﷺ علامة الراسخين في العلم :

التواضع لله والتذلل له في مرضاته ، لا يتعاظمون على من فوقهم ولا يحقرون من دونهم ، ويعلمون أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن

يقلبها كيف يشاء ، فتعلقت قلوبهم بربهم ويتوسلون إليه سبحانه بأسمائه وصفاته أن يثبت قلوبهم على دينه .

فالمؤمن يحتاج دومًا دعائم التثبيت ، وأنه لا غنى له عن ربه سبحانه ، وأنه لا يتكل على إيمانه وعلمه ، ولكن يخاف على نفسه ؛ لما رأى أهل البلاء وما يفعل بهم ، فيحتاج إلى التدعيم المستمر الذي لا ينقطع ، كما أن الإقرار بالبعث والجزاء يستلزم موجبه من العمل والاستعداد لذلك اليوم ، فإن الإيمان بالبعث والجزاء أصل صلاح القلوب ، ودافع لإصلاح الأعمال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ٧-٩] .

فالمطلوب : لجوء العبد إلى ربه وتعلقه به سبحانه ، وعدم الاتكال على عمله ـ وكان النبي ﷺ كثيرًا ما يدعوا ويقول : « **اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** »[1] .

الهداية والإضلال بيد الله وحده دون سواه ، وأيما قلب أراد الله تعالى أن يقيمه على طاعته أقامه ، وأيما قلب أراد الله تعالى أن يزيغه أزاغه ؛ فهو سبحانه لا

(١) الترمذي / كتاب الدعوات / ٨٩ـ باب حدثنا أبو موسى .

يسأل عما يفعل وهم يسألون : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .

ဆ الراسخون في العلم هم أصحاب العقيدة الصحيحة ، وبالآخرة يوقنون ، ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ٩] .

ဆ احذر أن تغتر بما أعطاك الله من مال أو ولد ؛ فتنشغل به عن طاعة ربك ، وأن يكون سببًا لطغيانك ، ولا تغتر بأن كان المال والولد بنافع لك في الدنيا ، فإنه قد يكون سبب شقاؤك في الآخرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٠] ، وهذه الآية كقول الله تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٩٦-١٩٧] ، وكقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة : ٨٥] .

ဆ الانتفاع بالأمثلة السابقة وأخذ العبرة والعظة لما حدث للأمم السابقة ، وبيان لمآل المكذبين ، وكيف أهلكهم الله بذنوبهم ، وكذلك الذنوب لو اجتمعت على الإنسان لأوبقته ـ فالمعاصي سبب الهلاك في الدنيا والآخرة .

وإياك والاستخفاف أو الاستهانة بعذاب الله ، والإقامة على المعصية ، ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [آل عمران : ١١] .

من الأسلحة الفاتكة في الحروب ـ الحرب المعنوية وإلحاق الهزيمة النفسية بالعدو قبل اللقاء ـ لذا كان من عطايا الرب سبحانه لرسوله ﷺ أن ينصر بالرعب مسيرة شهر : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٢] ، ولذا قال النبي ﷺ لليهود : « **يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشًا** » ، وفي ذلك بشرى للمؤمنين ، وتخويف للكافرين أنهم لابد أن يغلبوا في هذه الدنيا ـ وهذا كقول الله تعالى : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١١١] .

الله معز دينه وناصر رسوله ﷺ ، ومظهر كلمته ، ومُعْلِي أمره : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران : ١٣] ، لتعلموا أن النصر من عند الله ، ولكن عليكم بالأخذ بالأسباب ولينصرن الله من ينصره ، وأن لا يكون الاعتماد على القوة المادية فحسب ، ولكن الاعتماد والتوكل على الله والتوجه إليه وطلب الإعانة والمدد من الله ، بعد استيفاء الإنسان للمطلوب منه ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

انظر فالرؤيا واحدة ، والتأثير متباين ـ فرؤية المؤمنين للكافرين مثليهم ؛ ليكون الاعتماد على الله والاستغاثة بالله والاستعانة به وحده سبحانه ، ورؤية الكافرين للمؤمنين مثليهم ليحصل لهم الجزع والفزع والخوف والهلع والرعب ؛ لنعلم يقينًا كما قال سبحانه : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً

بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] ، ولكن لا يعتبر بذلك ولا يتعظ إلا أولوا الأبصار ، أهل الإيمان والتقوى ؛ ليثبت الله قلوبهم على طاعته .

احذر الدنيا :

فقد ازينت لأهلها .. فإياك أن تؤخذ مع من أخذ من جهة هذه الشهوات ، فالمؤمن لا يخدعه بصره ، ولكن سيره ببصيرته ، فطلبه للدنيا من أجل الآخرة فلتطلب بالدنيا ما عند الله تعالى ، وهذا لا سبيل لكي تناله إلا بتقوى الله وطاعته ، فينبغي الرغبة فيما عند الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۝١٤ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ١٤-١٥] .

فالله تعالى هو العالم بمصالح العباد ، فيجب أن يرضوا لأنفسهم ما أختاره الله لهم من نعيم الآخرة ، وأن يزهدوا فيما زهدهم فيه من أمور الدنيا ، فعجبًا لمن يضحي بالباقي الدائم ويقدم الفاني الزائل !! فعجبًا لمن يقدم نعيم مليء بالكدر على نعيم مصفى !! وأعظم ما أعطاه الله للمؤمنين المتقين من النعيم المقيم رضوانه سبحانه .

سبيلك لأن تكون من المتقين اشتمالك على ما وصف الله به المتقين من خلال الآيات فصفات من استحق نعيم الآخرة : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٦-١٧] ، فإنهم وسموا

بالصفات التي تؤهلهم أن يسكنوا الجنة ، وتراهم وهم يتوسلون إلى ربهم بالإيمان والأعمال الصالحة ؛ أن ينقذهم من عذاب النار ويغفر لهم ذنوبهم .

ﷺ أيكفيك شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية ؟ فهو سبحانه خير شاهد على أعظم مشهود ، أم تريد من ربك سبحانه أن يقيم لك شهودًا على شهادته ؟

فحسبك أن الملائكة يشهدون لربهم بالوحدانية وكذا أهل العلم يشهدون لربهم بذلك : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، وهذا شرف العلم وفضل العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وهذه منقبة لأهل العلم وبيان لفضيلة العلم والتعلم ، فيقول كل مسلم : يا ربنا ـ ونحن على ذلك من الشاهدين ـ فنحن نشهد لك بالوحدانية وبالعدل في حكمك وفي قولك وفعلك .

ﷺ كل الطرق مسدودة إلا من جهة النبي ﷺ ؛ فقد ختم الله به الرسالة ، فمن لقي الله بعد بعثة النبي ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل ـ فلا دين عند الله يقبله من أحد سوى الإسلام ، والإسلام هو الاستسلام والانقياد لله وحده ظاهرًا وباطنًا بما شرعه الله على ألسنة رسله : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

ﷺ الحسد والبغي والتباغض والتدابر يحمل الإنسان على مخالفة الحق ، ويظهر ذلك في أقواله وأفعاله ؛ فكان التحذير والتهديد والوعيد لمن رد الحق المنزل من قبل الله ، فلا يأمن عذابه سبحانه : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

⁂ إعلان الإنسان لعقيدته وبيان أن أتباع الرسل هم الذين سلكوا مسلكهم في الإيمان ، ودعوة الخلق إلى توحيد الله تعالى ، وأن الهداية في اتباع هذا الطريق ، ولا سبيل للداعي على المدعوين إلا بإبلاغهم الحق ، وبيان أن مرجع الجميع إلى ربهم سبحانه ؛ فيجازيهم على ما قدموا : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

⁂ ما على الداعي لدين الله إلا إبلاغ الحق للناس بلا تقاعس ولا تخاذل وعلى ربك الحساب والمرجع والمآل .

فربك بيده قلوب العباد يهدي من يشاء برحمته وإحسانه ويضل من يشاء بعدله وحكمته فله سبحانه الحكمة البالغة والحجة الدافعة .

ولتعلموا أن الطريق المستقيم طريق الهداية والاستقامة في الانقياد والاستسلام لدين الله الذي ارتضاه لعباده إلا وهو الإسلام .

فإياكم والتولي والإعراض عن دين ربكم فإن مضرة ذلك لا تعود إلا على أنفسكم ، ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

وهذا كقول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ [الرعد : ٤٠] ، وكقوله سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر : ٣٨] ، وكقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ

﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٤٣-٤٤] .

عموم بعثة النبي محمد ﷺ ، وأن الله أرسله إلى الناس كافة وليس هو رسول العرب ـ كما يزعم البعض ـ ، ولكن رسالته هي الرسالة الخاتمة والناسخة لكل الشرائع السابقة ، وأنه رسول رب العالمين لجميع الخلق عربهم وعجمهم ـ كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وكما قال ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ـ يهودي ولا نصراني ، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار** » [1] ، قال سبحانه : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

هؤلاء هم أهل الكتاب :

انظر كيف يتعاملون مع رسل ربهم ، وكيف يتعاظمون على قبول الحق ، وكيف يستكبرون على آيات ربهم ورسله ودعاة الحق : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران : ٢١] .

مآل الكبر والاستكبار الذل والصغار في الدنيا ، والعذاب المهين في الآخرة : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٢٢] .

---

(١) مسلم .

๑ أي دعوى عارية عن الدليل فهي دعوى مردودة ، فلا تغتر بالدعاوى الكاذبة ؛ فدليل الإيمان هو التحاكم إلى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، فمن صور الإعراض عن الدين : رفض التحاكم إلى كتاب الله تعالى ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[آل عمران : ٢٣] .

๑ قد يكون الدافع إلى افتراء الكذب على الله تعالى ، والجرأة على مخالفة الحق : سوء الاعتقاد ، وكذلك الاستهانة بعذاب الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[آل عمران : ٢٤] .

๑ ما حالك مع ربك عندما تحشر وتعرض وتسأل ـ فما أنت قائل ؟

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٨] ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٥] ، فاعملوا ما شئتم فإنكم مجزون به : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾[النور : ٢٥] .

๑ إعلان العبد ـ أمام هذه الافتراءات الكاذبة ـ تفرد الرب تعالى بتصريف الأمور ، وتدبير العالم العلوي والسفلي ، وأن مقاليد الأمور بيد الله تعالى دون سواه يصرفها كيف يشاء .

واعتراف العبد بقدرة الله التامة ومشيئته النافذة ..

فيقول العبد : يا ربنا أنت المتصرف في خلقك ، الفعال لما تريد بلا ممانع ولا مدافع ، فلك الحكمة البالغة والحجة التامة سبحانك .. سبحانك .. يا من تفرد

بالملك والملكوت .. يا من تفرد بالرزق والتدبير .. يا من تفرد بالإحياء والإماته وتصريف الأمور .. يا من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ويريد ..

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٦-٢٧] .

لا مصادقة ولا معاشرة ولا محبة ولا مودة ولا تناصر بين المؤمنين والكافرين ؛ فقد حرم الله علينا ذلك ، وبراءة ذمة الله تعالى ممن كان عونًا أو ناصرًا للكافرين على المؤمنين ، فقد حرم الله الموالاة بين المؤمنين والكفرين ـ فمن أصول الإيمان أن الحب لله والبغض في الله ..

فاحذروا ..!

فاحذروا من عقوبة الله وعذابه ـ فسعيك أيها العبد إلى ربك وأنك ملاقيه ؛ فلتعد العدة لمثل هذا اليوم : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] ، ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

أيها العبد فلتعلم ..

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٥] .

الله يعلم السرائر والضمائر ، فعلمه سبحانه شامل ، وأنه سبحانه لا

يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؛ فهو يعلم سبحانه خائنة الأعين وما تخفي الصور ، فقدرته تامة ومشيئته نافذة ، فعليكم بمراقبة الله تعالى في كل أحوالكم ؛ فإنكم صائرون إليه ، وإنك أيها الإنسان ساع وكادح إلى ربك فملاقيه ، وأن سعيك سوف يرى ثم تجزى الجزاء الأوفى .

فعليك أن تتجنب الأعمال التي توجب الفضيحة والعقوبة ، واستعد للقاء ربك بالأعمال الصالحة ، ولتسارع إلى التوبة والإنابة : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٩] .

ﷺ تحذير الله لعباده من الموقف يوم القيامة ، والتذكير بالحساب والاستعداد له بالتقوى والإيمان ، فنبه الله تعالى عباده على الخوف منه وخشيته في السر والعلن ؛ لئلا يرتكبوا ما نهوا عنه ،ومع ذلك لا ييئس الله عباده من رحمته وأنه لغفار لمن تاب وأناب إلى ربه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

ﷺ سبيلك أيها العبد لأن تكون محبوبًا عند ربك الباب إلى ذلك اتباع النبي ﷺ ، فعلامة محبة العبد لربه تعالى حقيقة ليس لها إلا تعبير واحد وهو الاتباع ، فكانت الآية الحاكمة على كل من ادعى محبته لله تعالى ولم يكن على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه ، ومن ثمار اتباع النبي ﷺ أن تكون محبوبًا عند ربك وأن يغفر لك ذنبك ـ وهذه بركة الاتباع والطاعة : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

۞ فما حقيقة الإتباع وصفته ؟

تتمثل في امتثال الأمر واجتناب النهي ، وإياكم والإعراض ـ فالإعراض عن طاعة الله تعالى ، والإعراض عن اتباع النبي ﷺ سبيل الكافرين فاحذروا : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٢] .

۞ الله أعلم حيث يجعل رسالته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، وأنه سبحانه يصطفي من خلقه من يعلم استقامته قولًا وفعلًا ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وهو الفعال لما يريد ، ولا يسأل سبحانه عما يفعل وهم يسألون ـ فهو العليم الحكيم الخبير : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣-٣٤] .

۞ جبلت فطرة الإنسان على حب الولد وطلب الولد ، ولكن لأي نية يطلب الولد ـ فنتعلم أننا لا نطلب الولد للاستئناس به ولكن نطلبه ليكون عبدًا صالحًا لربه ، فغاية المؤمنين الحصول على رضا ربهم ، وأن يتقبل منهم الأعمال الصالحة ، إن العمل القليل إذا مزج بالإخلاص قَبِله الله من صاحبه :

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٥-٣٦] .

۞ جبر الله لقلب من دعاه وأخلص ، وقبوله سبحانه بكرمه وإنعامه وإحسانه ، وكيف يتكفل سبحانه بحفظ هذه الوديعة التي استودعت عنده ؟ فكفل

لها من يقوم بمصالحها وتربيتها ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده ؛ تتعلم منهم العلم والخير والدين : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

فعليك أيها العبد أن لا تخشى على رزقك ففي السماء رزقكم وما توعدون ، واعلم أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ؛ فهو سبحانه فعال لما يريد ، قادر على إيجاد المسببات مع غياب الأسباب .

الطمع فيما عند الله تعالى :

وعلى الإنسان أن يذكر ربه كثيرًا خاصة في أوقات الغفلة بالليل والنهار ، وعليك أن لا تصاحب إلا مؤمنًا ؛ فالصحبة الصالحة لها ثمار تُرى في حياة الإنسان ، ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾ [آل عمران : ٣٨-٤١] .

الطريق إلى الولاية :

فسبب اختيار مريم عليها السلام هو : كثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ

وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٢-٤٤] .

قدرة الله تامة ومشيئته نافذة ـ إنما أمره سبحانه إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون .

وكيف يهدي سبحانه من يشاء .. وكيف يقيم القلوب على طاعته .. وكيف أن الله يؤيد رسله بمعجزات مما برع فيه قومه ؛ للدلالة على أنه مبعوث من قبل ربه سبحانه ..

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران : ٤٥-٥٠] .

مهمة الرسل دعوة الخلق لعبادة الله تعالى ، وأن طاعة العبد لربه مرتبطة بالتقوى ، وأن الصراط المستقيم يتمثل في تحقيق العبد العبودية الحقة لرب العالمين ، ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٥٠–٥١] .

إعلان الإنسان عن عقيدته في توحيده لربه وانقياده لأوامره ، مع يقين الإنسان أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله ، فهو مردود عليهم في نحورهم : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٢–٥٤] ، فعليكم أن تكونوا من أنصار الله الذابين عن دينه ولتتوسلوا إلى ربكم بالعمل الصالح ؛ حتى تكتبوا مع الشاهدين بوحدانيته سبحانه وبالرسالة والنبوة لرسوله ﷺ ، وشاهدين بأن هذا هو الدين الحق .

وفاة الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام ورفعه إليه توضحه الآية : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٧–١٥٨] ، يقول سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

أهل الحق مؤيدون من قبل الله تعالى ، ظاهرين على عدوهم إن أخلصوا لربهم سبحانه ، والله تعالى كما قضى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] ،

فالله تعالى قد وعد بالاستخلاف والتمكين في الأرض لمن حقق ما اشترطه الله من الإيمان والعمل الصالح : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

المرجع والمآل يوم القيامة إلى الله ؛ للفصل بين العباد ، وسلوى المسلم أن مرجع جميع العباد إلى ربهم ، وأن الجميع مجزى بما قدم ، وأن الذل والصغار على من خالف أمر ربه ونبذ شرعه ـ يراه في الدنيا والآخرة ، وأن العزة والظفر لمن قام بأمر ربه وتمسك بشرعه ـ يراه في الدنيا والآخرة : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٥-٥٧] .

العبرة والعظة من أحوال الأمم السابقة ، وقراءة واعية في السنن الكونية من كتاب ربنا ؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عزيز ، كتاب لم تمد إليه يد التزييف فإنه مصان محفوظ : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ٥٨] .

الآية الحاسمة لشبه الخصومة ، وكذلك كل شبهة فلنبحث على ردها من كتاب الله تعالى ؛ فهو كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، فعقيدتنا في عيسى بن مريم : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

ﮋ لا تبحث عن الحقائق إلا في كتاب ربك ، وإياك والشك والريب والتردد وأنت بين يديك كتاب لم تمتد إليه الأيدي بالتلاعب أو التزوير أو التزييف : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٠] .

ﮋ فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

فعيسى عليه السلام لم يتعد أن يكون عبدًا لله تعالى ، ودعوى إلهية عيسى عليه السلام دعوى باطلة ؛ فلو كانت مستحقة لأحد لكان آدم عليه السلام أولى بها من غيره .

ﮋ الآية التي أرشد الله تعالى نبيه ورسوله ﷺ لإنهاء الجدال مع النصارى ، وانظر كيف تراجعوا وانسحبوا مخذولين مبهوتين منهزمين ، لترى تراجع أهل الباطل عن المواجهة بعدما تبين لهم الحق ، فإنهم يعرفون ولكنهم يستكبرون عن قبوله كنتيجة للتعصب والتعنت والعناد ...

ﮋ لماذا انسحبوا ؟!

لأنهم أحرص الناس على حياة .. ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٦١] .

ﮋ فلتعلن أيها العبد الطائع أنه لا إله إلا الله ؛ لتقرع بها أسماع أهل الباطل ، فإن لم يقبلوها ويعرضوا عنها فلم يكن ذلك إلا بفسادهم ، فكل من عدل عن الحق إلى الباطل فهو مفسد والله به عليم : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٢-٦٣] .

ﰈ دعوة أهل الكتاب للحق وإلى قبول الحق ، فإن قبلوها ولا فلتُشهدوا الدنيا بأنكم مسلمون مستمرون مستديمون على هذا الدين ، فهي دعوة أهل الكتاب إلى ما دعت إليه الرسل وهي توحيد الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، ولذا قال الله تعالى في وصيته لنا : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

ﰈ تزييف الحقائق هو طريق أهل الكتاب ؛ لتلبيس الأمر على الناس ـ واحذر من الكلام بغير علم ، وأن الإنسان لو جهل المسألة فليرد ذلك إلى ربه ، فلا يحل للإنسان أن يقول أو يجادل فيما لا علم له به ، وأن أي دعوى عارية عن الدليل لا تقبل حتى يأتي المتكلم بدليل على صدق دعواه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٥-٦٦] .

ﰈ إظهار الحق ، وبيان وجه تزييف هؤلاء ـ بالأدلة والبارهين القاطعة التي لا تُعارض : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] ، ولذا قال الله تعالى لما دعت اليهود والنصارى الناس أن يكونوا على ملتهم ـ فوجههم الله إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه : ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٥] .

● أحق الناس بمتابعة إبراهيم عليه السلام : الذين اتبعوه على دينه ، وهذا النبي - أي : محمد ﷺ - ، والذين آمنوا معه من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن تبعهم بإحسان ، والله تعالى يتولى المؤمنين : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٨] .

● من منن الله تعالى على عباده وأوليائه أن بين لهم خطط الأعداء ومكرهم بالذين آمنوا ، وحرصهم على إضلال المؤمنين ، وبيان لحقد أهل الكتاب على المؤمنين ، وبيان ما أضمروه في نفوسهم من بغضاء للمؤمنين وحقد عليهم وحسدهم - ومع ذلك لا يشعرون أن وبال ذلك يعود عليهم ، ويلقى في نحورهم ، وأنهم ممكور بهم : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٩] .

● أسئلة موجهة إلى أهل الكتاب تحتاج منهم إلى إجابة : ما هي الدوافع التي تدفعهم للكفر بالله ؟ وتلبيس الحق بالباطل ؟ وكتمان الحق ؟

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٧٠ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٠-٧١] .

● مكر أهل الكتاب بالمؤمنين ومكائدهم المستمرة للمؤمنين ؛ لإضلالهم عن دينهم الحق ، وعدم التورع في استعمال أي سلاح سواء كان ماديًا ، أو عن طريق التشكيك وإلقاء الشبهات في طريق المسلمين ؛ بغرض إضلال المسلمين : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٧٢ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٢-٧٣] .

ﮋ هداية القلوب بيد الله وحده دون سواه ـ وهذا من فضل الله وإنعامه وإحسانه على المؤمنين ، فالأمور كلها بيد الله تعالى وتحت قهره وتصرفه ، وهو المعطي المانع ، يمنّ على من يشاء بالإيمان والعلم ، ويضل من يشاء بعدله وحكمته ، ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة ، فمن يهدي من أضل الله ؟!!

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران : ٧٣-٧٤] .

ﮋ الخيانة صفة لازمة لليهود خاصة لمن لم يكن منهم ـ بل إنهم لا يتورعون في الكذب على الله تعالى ، فيستحلون أموال وأعراض من ليس من جنسهم ، فيحذر الله المؤمنين من الاغترار بهم ؛ فإنهم يقولون : ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين ـ وهم العرب ـ فإن الله أحل لنا ذلك : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٥] .

ﮋ ومن أوفى بعهده مع ربه سبحانه فترك المحرمات ، وفعل الواجبات ـ كان من المتقين ؛ حيث أن التقوى سبب لجلب محبة الله تعالى ، فمن قام بحقوق الله تعالى وحقوق خلقه فهذا هو المتقي ، وهذا هو المحبوب عند ربه تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ٧٦] .

ﮪ احذر هذا الوعيد الذي توعد الله به الخائنين ، وكذا الذين يقدمون الدنيا على الآخرة ، فإياك أن تكون ممن يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل -- فما متاع الدنيا في الآخرة إلا قليل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧] ، فعقوبة هؤلاء أن الله تعالى لا يكلمهم يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، وفوق ذلك : لهم عذاب أليم ؛ وهذا كما قال النبي ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل منع ابن السبيل فضل ماء عنده ، ورجل حلف على سلعة بعد العصر ـ يعني كاذبًا ـ ، ورجل بايع إمامًا فإن أعطاه وفى له وإن لم يعطه لم يف له** » [1] .

ﮪ إياك والاغترار بمن يلوي لسانه باسم الدين والعلم ، والتحذير من سلوك هؤلاء ؛ فإنهم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٨] .

ﮪ الأنبياء أمناء لا يخونون الرسالة التي أرسلوا بها بل أنهم يبلغونها على خير وجه وخير بلاغ ..

كما ينبغي للمسلم أن يعلم ويتعلم ما هي مسئوليته عن هذا الدين ، وأنه ينبغي أن يوافق العلم العمل : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ

---

(١) البخاري .

وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران : ٧٩-٨٠] ، وهذه الآية باعثة على العمل بعد العلم ، وأن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًا ، بل حق على من تعلم القرآن أن يكون فقيهًا عاملًا بأحكامه مجتنبًا لنواهيه .

الميثاق الذي أخذه الله على الأنبياء هو ميثاق ملزم لأتباعهم ، فكل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء لزمه قبول بنود الميثاق الذي أُخذ عليهم ، وحري بالإنسان أن يعلن ويقول : رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ رسولًا : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[آل عمران : ٨١-٨٢] .

الكون كله خاضع ومنقاد لله تعالى طوعًا وكرهًا ، فما بغية هؤلاء وما مرادهم بعصيانهم وعدم قبولهم لهذا الدين ؟ فكل ملة غير الإسلام باطلة ويكتب على أهلها بالخسران ، أما المسلم فعليه أن يعلن ويجهر بعقيدته في الله ورسله وأنه يؤمن بجميع الرسل الذين أرسل الله إلى قومهم ليدعونهم إلى توحيد الله تعالى وإجلاله وتعظيمه : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ

مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٣-٨٥] .

ﮩ الظلم والفساد سبب مانع من اهتداء العبد لطريق الله المستقيم ، وأن العتو والكفر والظلم سبب لطرد الإنسان من رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء ، فاحذر من عقاب الله تعالى لمن علم الحق ولم يتبعه ؛ فهؤلاء يستحقون اللعنة والطرد من رحمة الله : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٦-٨٨] .

ﮩ أيها العبد التائب لا تيأس من رحمة ربك ؛ فإن الله تعالى يقبل التوبة من العبد ما لم يغرغر – وهذا من لطف ربك وبره ورأفته ورحمته : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٨٩] .

ﮩ بُعد الهداية عن من عرف الحق وشهد به ثم أرتد على أعقابه .

ولنعلم أن كفر اليهود كفر مركب وعناد واستكبار ، وكفر ضلال بعد علم ، فلهذا كانوا أبعد ما يكونون عن الهداية والتوبة ، فهم الخارجون عن المنهج إلى طريق الغي والضلال .

ولنعلم أن العلم لا ينفع إلا بصحة الاعتقاد ؛ ولذا قال النبي ﷺ : **« يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : أرأيت لو كان لك ما على الأرض**

من شيء أكنت مفتديًا به ؟ قال : فيقول : نعم . فيقول الله : قد أردت منك أهون من ذلك ! قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك !! » (١) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٠-٩١] .

محبة العبد لربه تقتضي أن ينزع من قلبه كل محبوب من ولد أو والد أو زوجة أو مال ، فلا يملأ قلبه إلا بمحبة الله ، وأن محبة الله مقدمة على كل محاب الإنسان ، وليعلم أن ما عند الله لا يطلب إلا بطاعته ، وكان من دلائل محبة العبد لربه سبحانه النفقة في سبيل الله : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[آل عمران : ٩٢] .

أي دعوى عارية عن الدليل فهي دعوى مردودة حتى يأتي المتكلم والمنازع بدليل على صحة ما يدعي ، وقد رد القرآن على اليهود وكذّبهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قول الله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾[النساء : ١٦٠] ، فقال سبحانه : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[آل عمران : ٩٣] .

---

(١) متفق عليه .

ﷺ من الظلم البين أن يقول الإنسان لما يصف بلسانه هذا حلال وهذا حرام ؛ ليفتري على الله الكذب ـ فهذا من أبين الظلم : ﴿ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[آل عمران : ٩٤] .

ﷺ صدق ما أخبر الله به وفيما شرعه في القرآن ، وعليكم بملة إبراهيم عليه السلام المبرأ من الشرك ، وقولوا فمن أصدق من الله حديثًا ، ومن أصدق من الله قيلا : ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[آل عمران : ٩٥] .

ﷺ عظم مكانة البيت الحرام فهو أول بيت وضع للعبادة وللنسك وللطواف والصلاة والاعتكاف ، ولقد سئل النبي ﷺ : أي مسجد وضع أول ؟ فقال : « **المسجد الحرام** » قال : فقلت : ثم أي ؟ قال : « **المسجد الأقصى** » فقلت : كم بينهما ؟ قال : « **أربعون سنة** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **ثم حيث أدركتك الصلاة فصل ؛ فكلها مسجد** » [1] ، وهذا المسجد الحرام هو المكان الآمن حيث تأمن فيه الحيوانات والطيور ـ فضلًا عن الإنسان فمن دخله كان آمنًا ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[آل عمران : ٩٦-٩٧] .

ﷺ كان من مظاهر رحمة الله بعباده أنه سبحانه لا يكلف نفسًا إلا وسعها ـ وربك غني عن عباده وعن عباداتهم : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[آل عمران : ٩٧] .

---

(١) متفق عليه .

꧁ أهل الكتاب هم أبعد الناس عن الاستقامة عن دين الله ، مع سعيهم الدائم في إضلال الناس وصدهم عن الحق ؛ وذلك بالتحريف والتضليل ، والسبب الدافع لكل ذلك العناد والاستكبار عن قبول الحق : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[آل عمران : ٩٨-٩٩] .

꧁ وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ، فالرب سبحانه مطلع على خططهم وضلالهم وإفسادهم ، ومن رحمته أن بين ذلك للمؤمنين ليحذروا عند التعامل معهم : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[آل عمران : ٩٩] .

꧁ إياك وإحسان الظن بالكافرين ، فلا تغتر بأهل الكتاب أو بكلامهم ، خاصة بعد بيان الله تعالى لك عن حالهم وهدفهم ، وأن بغيتهم التي يسعون إليها ليلًا ونهارًا وينفقون من أجلها الأموال هي ردة المسلمين عن دين ربهم ، وأنه لا سبيل لنجاة المسلم من كيدهم إلا بالاعتصام بكتاب ربه وسنة رسوله ﷺ .

ومن يتوكل على الله فهو حسبه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٠٠-١٠١] ، فلا عليك إلا أن تعتصم بربك ؛ فهو سبحانه مولانا ونعم المولى ونعم النصير ، فعليه نتوكل وإليه ننيب .

꧁ عليك أن تعض بنواجذك على دينك ، وأن لا يأتيك الموت إلا وأنت على ذلك ، أن تتمسك بأصول الدين ودعائمه ، وأن تتعرف على نعم الله عليك

خاصة هذه النعمة التي قد نحقر من شأنها إلا وهي الأخوة الإيمانية التي أساسها الألفة بين المسلمين ـ ألفة القلوب ، قلوب الذين اجتمعوا على طاعة ربهم للقيام بشكرها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢-١٠٣] .

المطلوب : دوام الإنابة إلى الله وخشيته وعرفان جلاله وعظمته قلبًا وقالبًا ، وأن نعرف أن الائتلاف لا يتم إلا بالتفاف القوم حول راية التوحيد ، وأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها حيث يشاء ، ونبذ الفرقة والاختلاف التي أساسها هو الاختلاف في الدين .

مسئولية المسلم الاجتماعية لإصلاح المجتمع :

فهذه الأمة لها مهمة وهي دعوة الخلق إلى عبادة الله ، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن بقاء الخيرية في هذه الأمة معقود ما بقيت الأمة قائمة بمهمتها ، ومناط الفلاح والسعادة والفوز في الدارين ـ الدنيا والآخرة ـ موقوف على القيام بهذه المهمة التي أنتدبنا الله لها ؛ ولذا قال النبي ﷺ : « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان** » [1] ، ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

---

(١) مسلم .

- التحذير من أن نكون كأمثال الأمم السابقة في اختلافها وتفرقها في دينها وإلا أصابنا ما أصابهم ، إن في ذلك لآية ـ عبرة وعظة ـ ، ونتعرف على السنن الكونية ، والتحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقد بين النبي ﷺ أن اليهود افترقت على إحدى وسبعين ملة ، والنصارى على ثنتين وسبعين ملة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة ـ وهي المستمسكة بما كان عليه النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

- نتائج الائتلاف والاجتماع والفرقة والاختلاف تظهر يوم القيامة حيث فريق في الجنة وفريق في السعير : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٦-١٠٧] .

- من رحمة الله بالعباد أن بين لهم وجلى لهم الأمر ؛ حتى يكونوا على بينة من أمرهم ليعلموا أن الله ليس بظلام للعبيد وليعلموا أن الله سبحانه هو الحاكم المتصرف في الدنيا والآخرة ، ومرجع الأمر كله إليه سبحانه : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [آل عمران : ١٠٨-١٠٩] .

- بم فضلت هذه الأمة :

ما الأسباب التي اقتضت خيرية هذه الأمة ؟

فإليك مواصفات الأمة الراشدة التي حملت الأمانة : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

فمن سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها ، فالأمة المحمدية هي خير أمة وجدت على ظهر الأرض ، وما كان ذلك إلا لأنهم قاموا بالمهمة التي انتدبوا لها خير قيام ، ولا تزال فيهم الخيرية طالما ما زالوا وما بقوا على هذا الأمر ، فالخير معقود في الإيمان بالله تعالى واتباع شرعه .

✍ أكثر أهل الكتاب يظلون على عقيدتهم الفاسدة ؛ ليقطع الطمع في إيمانهم : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

✍ كن على يقين من جبن أهل الكتاب وأن أذاهم للمسلمين مجرد كلام لا يتعدى هذا ، ولقد وعد الله المؤمنين بالنصر والتمكين ما أقاموا دين ربهم سبحانه فإنهم لا يقاتلونكم جميعًا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر .

فلتعلم ولتكن على يقين من أن العاقبة للمتقين ، وأن النصر والظفر للمؤمنين على الكافرين : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١١١] .

✍ الله تعالى ألزم اليهود الذل والصغار أينما كانوا فلا يأمنون ولا يطمئنون ، والسبب في ذلك كما ذكر الله تعالى في كتابه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ

﴿بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وهذه هي نتيجة الذنوب والمعاصي - انظر كيف تفعل بأهلها، واحذر من الكبر والبغي والحسد؛ فإنه الداء الذي أهلك هذه الأمة - اليهود -، فالعقوبات لا تنزل إلا بسبب المعصية والعدوان على حدود الله تعالى.

من علامات ومظاهر الصلاح الإيمان بالله واليوم الآخر، والمسابقة في فعل الخيرات، وأن العمل الصالح دليل على صحة الإيمان، ومن مظاهر الإيمان قيام الإنسان بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وبيان لإيجابية المسلم وإظهار لمسئوليته الاجتماعية تجاه المجتمع الذي يحيا فيه.

فانظر إلى تزكية الله للمستقيمين على دينه المقيمين لأصول دينه وفروعه: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٥].

والله يحفظ للعبد فعله ويجازيه به يوم القيامة وأنه سبحانه لا يضيع أجر المحسنين: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

إياك والاغترار بالأموال والعشيرة فإنها لا ترد عن الإنسان بأس الله ولا عذابه إذا أراده به، وأنه لا منقذ للإنسان من عذاب الله تعالى إلا الإيمان والعمل الصالح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦]، فإن كان المال والولد

بنافع للإنسان في الدنيا فإنه منقطع في الآخرة ، كما أن الكفر محبط للأعمال الصالحة فالعمل الصالح غير نافع للإنسان إلا لمن صلحت عقيدته .

ضرب الأمثلة لتقريب المفهوم ، ولإدراك الإنسان المقصود من الآيات : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٧] .

احذر بطانة السوء - فمن وقاه الله بطانة السوء فقد نجا ، واحذر الاختلاط بالمنافقين والكفار ؛ فإنهم قد أضمروا في صدورهم وضمائرهم تجاه المؤمنين من الحقد والغل والحسد والبغضاء ما الله به عليم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

التحذير من موالاة غير المؤمنين ، أو اتخاذهم مستشارين يطلعون على شئون المسلمين ، فمهما أظهرتم من محبتهم فلن يرضوا عنكم إلا بترككم ما أنتم عليه من الحق ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

وانظر إلى تغريرهم بالمؤمنين ، وكيف يلبسون الأمر على السذج من المسلمين وحقيقتهم كما بينها الله تعالى عندما يخلوا بعضهم ببعض : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟

عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١١٩] ، فالآية تدل على حرص الكافرين بلا تقصير في إيصال وإلحاق الأذى والضرر بالمسلمين .

فرح أهل الكتاب والمنافقون بمصائب المسلمين ، أو الكوارث التي تقع في دارهم وحزنهم لو ظفروا ، أو انتصروا على أعدائهم : ﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

كيف يتصرف المؤمن عند ذلك وما هو السبيل للسلامة من شرهم وكيدهم ؟ ليس عليك إلا أن تلتزم الصبر والتقوى ، وأن تتوكل على الحي الذي لا يموت الذي لا حول ولا قوة إلا به سبحانه وهو الذي مشيئته نافذة وقدرته تامة ، ولا يقع في ملكه سبحانه إلا ما شاء وقدر ، ومن توكل على الله كفاه : ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

فالله موهن كيد الكافرين ، فعليكم أن تتذرعوا بالتقوى حيث أن الوقاية من كيد الكافرين ومكرهم تكمن في التذرع بالصبر والتجلد ، واعلموا كما قال سبحانه : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١] .

حاجة الإنسان للتذكير بالنعم والنقم من أجل العبرة والعظة ، وكيف أنه من توكل على ربه كفاه وأعانه وعصمه من الوقوع فيما يضره سواء في دينه أو دنياه : ﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢١-١٢٢] .

ﷺ المعصوم من عصمه الله وأن ولاية الله للعبد تقيه مصارع السوء ، وتجنبه الأخطار وأن النصر من عند الله لا بكثرة عدد ولا عُدَدٌ ، وبيان لنعمة الله تعالى على المؤمنين بنصرهم وتأييدهم وظفرهم على عدوهم ، وإليك هذا البيان العملي كيف وقى الله تعالى المؤمنين وعصمهم وأعانهم في يوم بدر : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] ، وهذه الموقعة دلالة على أن ثمرة التوكل على الله والصبر والتقوى هو النصر والمعونة .

ﷺ عدة النصر الصبر والتقوى ، وأن العبد ما ينبغي أن يعتمد على الأسباب ولكن اعتماده لا يكون إلا على ربه في حصول منافعه ودفع مضاره ، ولتنظر إلى حاجة المؤمن للتثبيت على أمر الله تعالى وحاجة الإنسان إلى عاجل البشرى لتسكن النفس وليطمئن القلب : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾
[آل عمران : ١٢٤-١٢٥] .

ﷺ وما يعلم جنود ربك إلا هو ، فتأييد الله تعالى للمؤمنين من باب البشارة لهم وتطييبًا لقلوبهم وتطمينًا ، والإنسان في حاجة إلى التثبيت والبشرى خاصة عند فقدان أسباب النصر وأماراته ، ولتعلموا أن النصر من الله وحده لا من الملائكة ولا من غيرهم ، وأن الخيبة والخسران على الكافرين : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾
[آل عمران : ١٢٦-١٢٧] .

ﮪ لا يتصرف في ملك الله أحد إلا الله ولا معلم لأحد في التصرف في ملك الله غيره ، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب فالكل عبيده وتحت قهره وسلطانه ، والتحذير من اغترار العبد وتعدي حدود العبودية ؛ فالعبد عبد والرب رب ، ولا طغيان لأحد على سلطان الله تعالى ، فهو سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران : ١٢٨-١٢٩] .

ﮪ من عوامل النصر البعد عن المعصية وأن نصر الله تعالى للمؤمنين لن يكون إلا حين يستقيمون على أمره ويتبعون شرعه .

ومن مقتضى الإيمان وتصديقه ترك الربا ، وأن الفلاح منوط بالتزام التقوى ، وأن المسلم ينبغي أن لا يشبه الكافرين ويتقي سبيلهم الموصل إلى عذاب الله بل يسارع في طاعة الله ورسوله ؛ لتدركه رحمة الله ..

وأن الإيمان هو السبب الداعي والموجب لامتثال الأمر واجتناب النهي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[آل عمران : ١٣٠-١٣٢] .

ﮪ وقد ندب الله عباده إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات ، وأنهم لابد أن يشتملوا على الصفات التي تؤهلهم لسكنى الجنة ، فكما أن النار سكنى الكافرين فالجنة سكنى المتقين .

ولنعلم أن عفو الله وكرمه أجل وأعظم من ذنب العبد وإن جل ، وإليك السبيل لكي تكون من المتقين الفائزين بمغفرة الله وجنته : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣-١٣٦] .

ﷺ ينبغي للإنسان من دراسة السنن الكونية والتعرف على السنن الكونية والاتعاظ والاعتبار بحال الأمم السابقة ، والتعرف على مآل المكذبين وأنه لا مجال للهزيمة النفسية بل ينبغي أن يستعلي المؤمن بإيمانه : ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٧-١٣٩] .

ﷺ الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وأنه لابد من اختبار الإيمان ، وأن الأيام دول وأنه لابد من التمحيص ، وأن طريق الجنة محفوف بالمكاره ، وأن سبيل الإنسان للعبور للجنة عن طرق الجهاد والصبر والابتلاء ، وأن الابتلاء للتمييز بين صادقي الإيمان ومدعي الإيمان ، وأن من حكمة الابتلاء اصطفاء الشهداء .

فلتعمل على توطين النفس وترويضها على تحمل المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٠-١٤٢] .

سلوا الله العافية ـ فالعافية أوسع ، وأن الإنسان لا يتمنى البلاء ؛ فإنه لا يعلم إن كان سيثبت عند المصيبة أم لا : ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٤٣] .

يتعلم الإنسان أن يتعلق ويرتبط بربه سبحانه ولا يرتبط بأشخاص مهما كانوا ، وتوطين النفس على تحمل المشاق مهما كان مرها .

ولقد كتب الله الموت والفناء على خلقه وهو سبحانه الحي الذي لا يموت ، فليترابط الإنسان بالحي الذي لا يموت ، ويعلم أن الموت والحياة بيد الله وحده دون سواه ، وأن النفوس جميعها معلقة بآجالها بإذن الله وقدره وقضائه : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤-١٤٥] .

ثواب الأعمال موقوف على نية العاملين وحسن مقصدهم : ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .

حاجة الإنسان إلى القدوة والأسوة مع كل حالة يمر بها الإنسان وعليه أن يلزم الذكر والاستغفار في حال الشدة ، وطلب الثبات على دين الله تعالى ، وليعلم أن من أعظم أسباب الخذلان وتسلط الأعداء فعل المعاصي : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦-١٤٧] .

لما اعتمد القوم على ربهم وتوكلوا عليه ولجأوا إليه ؛ أعطاهم الله خير الدنيا والآخرة ، وهذا هو جزاء الإحسان : ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٨] .

على المؤمنين أن لا ينزلوا على حكم الكفار ولا يطيعوهم ولا يقبلوا مشاورتهم ؛ خشية أن يستزلوهم عن دينهم ، فالتحذير من الاستماع إلى الكفار وطاعتهم خاصة عندما تلحق الهزيمة بالمؤمنين ؛ لأن الإنسان حال الانكسار يكون عرضة لأن تؤثر فيه تلك الدعايات المسمومة ، فطاعة الكافرين تورث الردى في الدنيا والآخرة .

بل إن طاعة المؤمنين ما ينبغي أن تكون إلا لربهم سبحانه وسيرهم لا يكون إلا حسب إرشادات الرب سبحانه وتعالى لهم ، ولتعلموا : وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٩-١٥٠] .

الشرك سبب الذلة والصغار والمهانة في الدنيا والآخرة ، والرعب في القلوب على قدر الشرك والإلحاد ، ومن أكبر عوامل هزيمة الكفار هو إلقاء الرعب في قلوبهم : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥١] .

ولذا قال النبي ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

ولينصرن الله من ينصره .. والله لا يخلف الميعاد ، فقد وعد الله سبحانه أن ينصر من ينصره ويتوكل عليه ويستعين به ، فمن تحول إلى طلب الدنيا أوكله لنفسه .

والفرقة والتنازع سبب الفشل والهزيمة ، والتنازع لا يأتي بخير ، وإياكم والالتفات إلى الدنيا والانشغال بها عن طلب الآخرة : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

السنن الكونية لا تعرف المحاباة :

الفشل والخصومات والتنازع من أجل الدنيا يتسبب في تسلط الأعداء : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

ما من مصيبة تصيب الإنسان إلا وعند الله ما هو أعظم منها ، وقد تكون المصيبة الثانية من رحمة الله بعبده ؛ حيث قد تنسيه المصيبة الأولى ، وقد

تكون الحكمة في ذلك لدفع الإنسان عن التأسف على ما فات وما أصيب به ، فلنسلم لحكمة الله ولقضائه وقدره ، ونرفع شعار رضينا بالله ربا : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] .

أيها المغرور لا تنس مراقبة الله لك ولأعمالك فهو سبحانه مطلع على أعمالكم سرها وعلنها دقها وجلها ، وهو سبحانه مجازي العباد على أعمالهم التي يحصيها عليهم ، ولتعلم أن السكينة والأمنة من نعم الله على عباده خاصة بعد المصيبة ، وتكون لأهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق .

ومن حكمة الابتلاء هو التمييز بين الصفوف ، فإنه لن يعلم المؤمن من المنافق إلا من خلال الابتلاء فيميز بين أهل اليقين والثبات وبين أهل الشك والريب ، فهناك مواقف لا يصلح فيها إلا أصحاب العقيدة الصحيحة السليمة ، ويعلمون أنه لا حذر مع قدر ، وأن قدر الله نافذ وقدرته نافذة وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

فاحذر ...!!! احذر من ظن السوء بربك تعالى ..

الشيطان لا يسلط على الإنسان إلا بسبب ذنوبه ومعاصيه ، ولكن من رحمة الله أن باب المغفرة والعفو واسع ، وعدم تيئيس العباد من رحمة ربهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٥] ، فهو سبحانه يغفر الذنوب ويحلم على خلقه ويتجاوز عنهم .

لابد من مفارقة الحياة لا محالة فقد كتب الله تعالى علينا الموت كما كتب لنا الحياة ، فأفضل طريقة نفارق عليها الحياة هي الموت في سبيل الله ، واعلم أن الموت في سبيل الله ليس مما يوجب الحسرة حتى يحذر منه بل هو مما يوجب الفرح والسرور .

وإياك والاغترار بعقيدة الكفار الباطلة في مسألة القضاء والقدر فإنه لا يغني حذر من قدر ، ثم إنكم إن فررتم من الموت أو القتل فأين المفر ، إلى أين تذهبون ، إلى أين الفرار ؟ لا يكون إلا إلى الله تعالى ، وما للخلق من عاصم إلا الاعتصام بحبل الله .

فلتعلم أيها العبد ..

أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

• من مظاهر الرحمة : لين القلب ، وخلق العفو ، وطلب المغفرة للمذنبين : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

فدلت الآية على وجوب التمسك بمكارم الأخلاق ، وخصوصًا لمن يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

• المشاورة من الأصول التي بني عليها الحكم في الإسلام ؛ حتى يتمكن من استخراج الوجه الأصلح ، وأيضًا فيها بيان للإيجابية التي ينبغي أن يكون عليها المسلم ، ففيها التدريب على ذلك وعدم اعتماد السلبية : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

• **انتبه ... !!!** فإن التوكل على الله يكون بعد استنفاذ العبد للأسباب المشروعة .

• النصر والخذلان بيد الله تعالى ، حتى لا نركن إلى الأسباب المادية ، وأن المؤمنين لا يعتمدون ولا يتوكلون ولا يستعينون إلا بربهم ، وأن قلوبهم لا تلتفت إلى أي سبب من الأسباب المادية ولكن لا تقصير عندهم في الأخذ بالأسباب فإنهم يتعبدون لربهم سبحانه بتنفيذ أوامره وشرعه ؛ لأنهم يعلمون ويقرون بأن الأمر كله لله سبحانه : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

• عصمة النبي ﷺ من الوقوع في المعاصي والزلل : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

ﷺ التخويف من النار يسبب ترك المعصية وعدم الإقدام عليها ، وفيه ردع العقوبة الأخروية التي تعين على استقامة الإنسان على صراط ربه المستقيم : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦١] .

ﷺ عقد الموازنة بين الأعمال الصالحة والأعمال الطالحة ، بين الإيمان والكفر ، بين الهدى والضلال ، بين الحق والباطل ، بين الغي والرشاد ، وأن تفاوت الدرجات والمنازل بحسب تفاوت الأعمال ، وأنهم لا يستوون ، والجزاء عند الله تعالى يوم القيامة على ما قدم العبد من أعمال : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٢-١٦٣] ، فمنازلهم متفاوتة يوم القيامة ـ درجاتهم في الجنة ودركاتهم في النار .

ﷺ من إحسان وإنعام الرب على المؤمنين إرسال الرسل ، وأن مهمة الرسل بيان ما أنزل إليهم من ربهم وبيان الطريق إلى تزكية النفوس ، وتنقية القلوب ، ولولا ذلك لكنا في ضلال مبين ، ومهمة الرسل هداية وإرشاد الناس لطريق ربهم المستقيم : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

ﷺ السنن لا تعرف المحاباة ولو مع الأكابر والأفاضل ، ويلزم الإنسان إن تخلف عنه التوفيق أن يبحث في نفسه قبل إلقاء اللوم على الآخرين ، وليعلم أنه ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة ، والله على نصر المؤمنين لقدير : ﴿ أَوَلَمَّآ

أَصَبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

❀ بيان لحكمة الابتلاء التمييز بين المؤمن والمنافق ، وأن بواطن الأمور لا تظهر إلا بالابتلاء ، ونعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٦-١٦٧] .

❀ **فمن علامات الإيمان** : الذب والدفع عن دين الله تعالى .

أما المنافق فتراه يخادع ويلقي اللوم دومًا على غيره ولا يرمي نفسه بالتقصير .

❀ العقيدة الفاسدة وكيف تفعل بأصحابها ، وكيف يلبس الشيطان على أصحاب العقيدة الفاسدة الباطل ، وكيف يزين أعمالهم ويصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٨] .

❀ **إلى راغبي الحياة الأبدية ...**

فلتسعى أن تموت في سبيل الله فرزقك عند ذلك مضمون لا ينقطع ، ولا يعلم عظم الشهادة إلا الشهداء ؛ فهم في فرح وسرور دائم لا ينقطع : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا

ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩-١٧١] .

• فهل تظن أن الشهداء تأسفوا على فوات حياتهم ؟!

الخير كل الخير في استجابة الإنسان لأوامر ربه سبحانه وأوامر رسوله ﷺ ؛ ففيهما السعادة والنعيم المقيم : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] .

خوف المؤمن لا يكون إلا من ربه وأنه لا يخشى في الله لومة لائم ، ويعلم أن بحسن توكله على الله يقيه الله السوء ، ويعلم أنه سيكفيه الله تعالى ، وأنه مع الصبر والتقوى لا يضره كيدهم شيئًا : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

لتعلم أن الشيطان يتربص بالإنسان الدوائر ويحاول محاولة دائمة أن يتسلل إلى داخل الإنسان ؛ لكي يوهنه وينفث في عضده وعزمه : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

الكفر لا يضر إلا صاحبه :

ولنعلم أن مشيئة الله نافذة وقدرته سبحانه تامة ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وبالتالي يكون إيثار خوف الله تعالى على خوف غيره .

وإياك والاغترار بتقلب الذين كفروا في البلاد فلا تنظر إلى ما متعوا به في الحياة الدنيا فهو متاع قليل ، لكن في العاقبة العذاب الأليم الشديد السرمدي ، ولتنظر إلى حرص النبيّ ﷺ على هداية الخلق وعلى إنقاذهم من النار : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٦-١٧٨] .

❀ لابد من الامتحان والاختبار ؛ ليظهر صدق الإيمان من عدمه ، وللتمييز بين المؤمن والمنافق : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

❀ ولا سبيل للعبد للإطلاع على الغيب ليتعرف على المؤمن من المنافق إلا من خلال ما يعقده سبحانه من الأسباب الكاشفة لذلك ـ فالغيب لا يعلمه إلى الله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] ، فلا عليكم إلا الإيمان بالله واتباع شرعه الذي لا يعلم إلا من خلال رسوله ﷺ .

❀ البخل داء عضال أهلك الأمم السابقة ، فهو ضار على دنيا الإنسان وعلى دينه ، وكفى في ذلك مآل البخيل يوم القيامة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] ، فلا مالك على الحقيقة إلا الله .

❀ اليهود يُعرفون بسوء الأدب والعجرفة ولقد ضلوا في باب الأسماء والصفات ؛ حيث وصفوا الله تعالى بما لا يليق به ، وبما هو منزه عنه ، هذا بالإضافة إلى جرائمهم المتكررة خاصة مع رسل ربهم سبحانه ، فانظر ماذا قالوا عن ربهم !! وانظر ماذا فعلوا بأنبيائهم !! وانظر إلى سوء اعتقادهم !!

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾

[آل عمران : ١٨١-١٨٤] .

❀ الصبر خلق ما ينبغي أن يتخلف عنه المسلم ، بل ينبغي أن يتعلم السلوك التطبيقي للصبر ، ونتعلم أنه ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ؛ إنه ليدعون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[آل عمران : ١٨١] .

❀ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾[آل عمران : ١٨٣] .

❀ دحض حجج وشبه المكذبين : ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[آل عمران : ١٨٣] .

ﻉ إياك والاهتمام بما يلقيه المكذبون من تهم ، فلا عبرة لقولهم : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران : ١٨٤] .

ﻉ **الحقيقة الغائبة :**

فالموت مكتوب على كل مخلوق ، فالكل يفنى ولا يبقى إلا الله الواحد القهار ، فلابد من توطين النفس على قبول قضاء الله تعالى وقدره بنفوس راضية مطمئنة ..

وماذا بعد الموت ؟!

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٤] ، ففي الآية تعزية لجميع الناس فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت ، فإذا جاء أجلهم فإنهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، حتى ولو للحظة واحدة .

ﻉ الأصل أن يبتلى الإنسان فليست الدنيا دار مقر ولكنها دار ممر إلى الآخرة ، وما وجد فيها الإنسان إلا ليبتلى ؛ لكي يميز الله بين العبد الصالح والعبد الطالح ، ولقد قضى الله علينا الابتلاء في النفس والمال ولابد ان يتعرض الإنسان لأنواع من الإيذاء ، وأن المؤمن ليس له إلا سبيل واحد في كيفية التصرف والتعامل مع البلاء ـ وهو الصبر والتقوى ، فلتعمل على توطين النفس على قبول الابتلاء فإنها سنة جارية فعليك بالاستعداد لوقوعه والتهيأ لتحمله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ

فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

ﵟ فلا تنتظروا من المشركين إلا إلحاق الإيذاء بالمسلمين ، فالإسلام هو العدو اللدود للمشركين ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

ﵟ لقد أوجب الله علينا بيان الحق وإظهاره ، وتوعد على كتمانه واستسراره وأوجب الوفاء بالميثاق الذي أخذ علينا على عدم كتمان العلم : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾[آل عمران : ١٨٧] .

ﵟ ما الدافع وراء التقصير في الطاعات ؟

الدافع للمخالفة حب الدنيا وإيثار الدنيا على طلب الآخرة .

ﵟ العبادة الغائبة ، التفكر في خلق الله تعالى ؛ فهي عبادة الأتقياء ، وهذه العبادة ينشأ عنها ترسيخ الإيمان ولا ينتفع بها إلا أولوا الألباب ، ولقد ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره ؛ لذا قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ۝ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٥-١٠٦] ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[آل عمران : ١٩٠] .

꧁ من صفات أولي الألباب :

■ استدامة ذكرهم لله تعالى دون انقطاع .

■ يتعوذون دومًا من عذاب الله ومن النار .

■ يتوسلون إلى ربهم سبحانه بالإيمان والعمل الصالح أن يغفر لهم الذنب وأن يحشرهم مع المتقين الأبرار .

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ١٩١–١٩٤] .

꧁ يستجيب الله تعالى دعاء الداعيين ما لم يتعجلوا : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

꧁ سبيل العبد لتكفير سيئاته وسبيله لدخول الجنة بممارسة الطاعات والعبادات : ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

꧁ فلتغمض عينيك عن ترف المترفين وتنعم المتنعمين ، فهذا متاع قليل زائل فلا يشغلك ذلك عن طلب النعيم الدائم المقيم ، النعيم الذي لا ينفد ، ولا

تغمض عينيك عن العاقبة : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٩٦-١٩٧] .

عاقبة المتقين أنهم يساقون إلى دار الكرامة : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : ١٩٨] .

لا يؤمن من أهل الكتاب إلا طائفة قليلة ، وهم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم وأنهم رضوا بها عند الله ، فالمؤمن هو من وفق للخير والصلاح : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٩] .

سبيل الفلاح والفوز والسعادة في الدارين أن يتخلق الإنسان بخلق الصبر ويلتزم هذا الخلق ، وأن يرابط على طاعة ربه سبحانه ، ويلزم سبيل المتقين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه

وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل ، واجعلنا للمتقين إماماً

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

